المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية الدعوة والإعلام
قسم الدعوة والاحتساب

الرفق في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة

بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في الدعوة والاحتساب

إعداد الطالبة: وفاء بنت محمد الماجد

إشـــــراف:

الدكتور عبدالله بن إبراهيم الطويل

الأستاذ المساعد بقسم الدعوة والاحتساب

العام الجامعي ١٤٣٣هـ - ١٤٣٤هـ

مقدمـــــة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدهِ الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[١]،﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾[٢]،﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[٣][٤]، أما بعد:

فإن الدعوة إلى الله تعالى هي مهمة الأنبياء، الذين اصطفاهم الله لها، واختارهم للقيام بها، وميزهم بصفات كريمة تعينهم على القيام بهذه المهمة العظيمة.

وإن من أكرم تلك الصفات مقاماً وأعلاها شأناً صفة الرفق بالناس والحلم عليهم، والأناة بهم، فوَسِعُوا الخلق برفقهم، وحسن خلقهم، قال تعالى واصفا نبيه ﷺ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[٥]، وهذا إمامهم وخاتمهم يوصيه ربه يقول له: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ

---

(١) سورة آل عمران (آية: ١٠٣).

(٢) سورة النساء (آية: ١).

(٣) سورة الأحزاب (آية: ٧٠-٧١).

(٤) خطبة الحاجة، لمحمد ناصر الدين الألباني (ص٤).

(٥) سورة القلم (آية: ٤).

وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[١]، بل إن الغلظة والشدة قد تكون مانعة للناس من قبول الحق والسير في هداه، حتى إن كان الداعية إليه رسولاً يُوحى إليه من ربه، يقول تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[٢]،فإنه يعني بـ"الفظ" سي الخلق الجافي، وبـ"الغليظ القلب"، أي قاسيه، غير ذي رحمة ولا رأفة، وكذلك كانت صفته ﷺ، كما وصفه الله به: (بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) فالأخلاق الحسنة تجذب الناس إلى دين الله [٣].

ولهذا أوصى الله تعالى أهل الحق من المؤمنين بالحسنى في جدالهم مع المخالفين، حتى إن كان الخلاف معهم في أصل الاعتقاد، يقول تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ ﴾[٤].

ولهذا كان من أبرز صفات الدعاة إلى الله الرفق والحلم؛ لأن الداعية إنما يقصد بدعوتهم هدايتهم وإرشادهم، وأيسر الطرق لتحقيق ذلك وأسرعها الرفق بهم واللين معهم، ثم هو – أيضاً – أحمدها عاقبة.

ثم إن الواقع يؤكد هذا المعنى ويدل عليه، حيث لم يزل الرفق في الدعوة إلى الله، واللين مع المدعوين؛ من أفضل السبل في استنقاذ كثير من الناس من الضلال، وهدايتهم إلى سبيل الرشاد.

---

(١) سورة النحل (آية: ١٢٥).

(٢) سورة آل عمران (آية: ١٩٥).

(٣) جامع البيان في تأويل القران، للطبري(٧/٣٤٠)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي(١/١٥٤).

(٤) سورة العنكبوت (آية: ٤٦).

لذا تأتي أهمية دراسة موضوع الرفق في الدعوة إلى الله تعالى؛ تجليةً له، وبياناً لمجالاته وأنواعه، وتطبيقاته وآثاره.

ولما كان هذا المجال واسعاً متشعباً، فقد استعنت الله تعالى أن تكون دراستي في هذا البحث عن الرفق في الدعوة إلى الله تعالى، الذي يجب على الداعية أن يتخلق به، واخترت بعد الاستخارة والاستشارة أن يكون العنوان:

الرفق في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنّة

والتعريف الإجرائي لعنوان البحث هو: دراسة صفة الرفق في مجال الدعوة إلى الله تعالى، من خلال استقراء نصوص الكتاب والسنّة لاستنباط منهج الرفق، وضوابطه، والنتائج المترتبة على التحلي به في مجال الدعوة إلى الله تعالى.

- **أهمية الموضوع، وأسباب اختياره:**

تبرز أهمية الموضوع من خلال جوانب منها:

١. أن الرفق من أهم الصفات التي أرشد الله تعالى الدعاة إلى التحلي بها.

٢. حاجة الدعاة إلى التحلي بالرفق في دعوتهم، وأن يكون ذلك صفة تلازمهم في كل أحوالهم.

٣. أن الرفق خُلق واسع المجالات، متعدد التطبيقات، متنوع الأحكام والصور؛ مما يؤكد الحاجة إلى رسم منهج عام للرفق في مجال الدعوة، يقف من خلاله الدعاة إلى الله على معالم هذا الخلق وملامحه وتطبيقاته.

٤. أن خلق الرفق من الأخلاق الأصيلة في الدعوة إلى الله تعالى؛ مما يؤكد أن دعوة الإسلام دعوة رفق ولين، وليست عنفاً وإرهاباً.

٥. حاجة الدعاة إلى معرفة منهج الرفق في الدعوة إلى الله تعالى.

٦. المساهمة في بيان حقيقة منهج الإسلام في الدعوة القائم على مبدأ الرفق على نحو يبيّن بطلان ما يلصقه به الأعداء من وصف بالعنف والإرهاب.

- **أهداف البحث:**

١- بيان أهمية الرفق في الدعوة إلى الله تعالى.

٢- بيان أنواع الرفق في الدعوة إلى الله تعالى.

٣- توضيح مجالات الرفق في الدعوة إلى الله تعالى.

٤- الكشف عن نتائج التحلي بالرفق في الدعوة إلى الله على الداعي والمدعو.

- **تساؤلات الدراسة:**

١- ما أهمية الرفق في الدعوة إلى الله تعالى؟

٢- ما أنواع الرفق في الدعوة إلى الله تعالى؟

٣- ما مجالات الرفق في الدعوة إلى الله تعالى؟

٥- ما نتائج التحلي بالرفق في الدعوة إلى الله على الداعي والمدعو؟

- **الدراسات السابقة:**

لما كان موضوع الرفق من الموضوعات المهمة، تنوعت البحوث والدراسات فيه وتعددت، ويمكن الإشارة إلى أكثرها التصاقاً بالموضوع على النحو التالي:

١. **مبدأ الرفق في التعامل مع المتعلمين من منظور التربية الإسلامية**، صالح سليمان البقعاوي، بحث مكمل لنيل درجة الماجستير مقدم إلى قسم التربية الإسلامية بكلية التربية بجامعة أم القرى، عام١٤٢٠هـ، والهدف من الدراسة إبراز مبدأ الرفق ومكانته التربوية، وبيان جهود المربين في توضيح الرفق في المجال التربوي.

وجه الاختلاف عن موضوع بحثي: يعتني هذا البحث بموضوع الرفق باعتباره موضوعاً اجتماعياً تربوياً، اختص بالتعامل مع المتعلمين عند العلماء المسلمين وعند المربين المعاصرين، في حين أن بحثي يتناول موضوع الرفق في مجال الدعوة إلى الله تعالى من خلال جعل نصوص الكتاب والسنّة أساساً يقوم عليه البحث.

٢. **الرفق وآثاره التربوية على الفرد والمجتمع**، محمد حسني موسى، بحث مكمل لنيل درجة الماجستير مقدم إلى قسم الدراسات الإسلامية، بكلية الشريعة، بجامعة اليرموك عام ١٤٢٣هـ، وسعت الدراسة إلى بيان مفهوم الرفق في الكتاب والسنّة، ومدى انعكاس هذا الرفق على الفرد والمجتمع، وما دور المؤسسات التربوية في تنشئة المجتمع على هذا السلوك.

وجه الاختلاف عن موضوع بحثي: هذا البحث موضوعه يُعنى بالجانب التربوي ويكشف عن أهمية خلق الرفق في السلوك الاجتماعي، فهو بهذا الاعتبار أعم من موضوع بحثي؛ لأن بحثي يقتصر على مجال الدعوة إلى الله تعالى، منطلقةً من الكتاب والسنّة.

٣. **الرفق في السنّة النبوية**، إعداد د. حسن محمد عبه جي. بحث محكم منشور بمجلة كلية التربية بجامعة الملك سعود عام ١٤٢٩هـ، وهذه الدراسة اعتنت بجمع الأحاديث النبوية المتعلقة بموضوع الرفق مع شرح يسير لها.

وجه الاختلاف عن موضوع بحثي: بين هذا البحث وبحثي عموم وخصوص:

فهذا البحث أخص لأنه يقتصر على السنة، وبحثي أعم لأنه يشمل أيضاً القرآن الكريم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فبحثي أخص لأنه يتعلق بالرفق في مجال الدعوة فقط، بينما هذا البحث عام يشمل الدعوة وغيرها من المجالات.

٤. **من صفات الداعية: اللين والرفق**، د. فضل إلهي ظهير، كتاب مطبوع، فيه إيضاح للمعنى الصحيح للرفق واللين، ثم ذكر ما يتوجب على الدعاة من رفق في الدعوة، وقد تطرق إلى الأحوال التي يلجأ فيها الداعي إلى الشدة.

وجه الاختلاف عن موضوع بحثي: اعتني هذا البحث ببيان المراد بصفة اللين والرفق والمعنى الصحيح لهما بما يكشف عن الفرق بينهما وبين المداهنة أو النفاق، كما تناول الأحوال التي يعدل فيها الداعي عن الرفق ويلجأ إلى الشدة.

وبهذه يتضح أن هذه الدراسات القيمة تختلف عما أعتزم الكتابة فيه؛ وذلك لأنها تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: دراسات تتعلق بموضوع الرفق بصفة عامة.

الثاني: دراسات تتعلق بالرفق في مجال من المجالات الخاصة.

وهي بهذا تختلف عن مجال دراستي؛ لأن محل دراستي يتعلق بإبراز منهج الرفق في الدعوة إلى الله تعالى في ضوء الكتاب والسنّة بالمعنى الشامل؛ وذلك بدراسة النصوص واستنطاقها لإبراز مشروعية الرفق، وأهميته، ومجالاته، وآثاره ونتائجه.

- **منهج البحث:**

تندرج هذه الدراسة في إطار الدراسات التي تهدف إلى جمع النصوص الشرعية والآثار عن الظاهرة المدروسة؛ لذا فإني سأستخدم المنهج الاستقرائي الاستنباطي: وهو حصر النصوص حول الظاهرة محل الدراسة، وإعطاء حكم عام بصددها، وتنظيم هذه المعلومات المتوافرة في قالب معين ليستنبط منها نتائج صحيحة[١]، ملتزمةً في ذلك بالمنهج المتعارف عليه في الكتابة والتوثيق. وقد عمدت إلى فعل ما يُعين على تطبيق ذلك مثل:

١. الرجوع إلى القرآن الكريم والسنّة لجمع النصوص التي تشير إلى الرفق صراحةً.

٢. الوقوف على دلالات تلك النصوص عن طريق الرجوع إلى كتب التفسير وشروح السنة، وغيرها من كتب أهل العلم.

٣. استنباط مجالات الرفق، وأنواعه، ونحو ذلك، بما يسهم في إبراز منهج الرفق في مجال الدعوة إلى الله تعالى.

- **تقسيمات الدراسة:** تتضمن الدراسة مقدمةً وتمهيداً وثلاثة فصول وخاتمةً وفهارس.

المقدمة: وتتضمن أهمية الموضوع وأسباب اختياره وأهدافه ومنهجه وتقسيمات الدراسة.

---

(١) انظر: البحث العلمي صياغة جديدة، لعبدالوهاب إبراهيم أبو سليمان (ص٦٤).

التمهيد: وفيه التعريف بمصطلحات البحث، والمصطلحات ذات الصلة.

الفصل الأول: مشروعية الرفق في الدعوة إلى الله وأهميته، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مشروعية الرفق.

المبحث الثاني: أهمية الرفق.

الفصل الثاني: أنواع الرفق ومجالاته في الدعوة إلى الله، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أنواع الرفق.

المبحث الثاني: مجالات الرفق.

الفصل الثالث: نتائج الرفق في مجال الدعوة إلى الله تعالى، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: نتائج التحلي بالرفق على الداعي.

المبحث الثاني: نتائج التحلي بالرفق على المدعو.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث.

الفهارس والمراجع.

وبعد.... فإني أشكر الله عز وجل على ما أولاني من نعمه العظيمة، وآلائه الجسيمة، وأحمده سبحانه على أن تفضل عليّ بهذا البحث، كما أشكره سبحانه أن منَّ عليّ بإنهائه، سائلةً الله تعالى أن يكون هذا الجهد خالصاً لوجهه الكريم.

والشكر موصول لأهل الفضل في إتمام هذا البحث، وأخص بذلك زوجي فضيلة الدكتور/ ناصر بن محمد الماجد على ما بذله من جهد وعطاء، وإعانة وتحمّل، فجزاه الله عني خير الجزاء، وبارك في علمه وعمله.

والشكر لوالديّ الكريمين على حرصهما وتشجيعهما، ودعائهما المستمر لي، أمد الله في عمريهما، وأحسن جزاءهما، ولا حرمني منهما ولا من برّهما ودعائهما.

ثم أتقدم بعظيم شكري وفائق تقديري لأستاذي فضيلة الدكتور/عبدالله بن إبراهيم الطويل.. المشرف على إعداد هذه الرسالة، فله جزيل الشكر وصادق الدعاء؛ لتكرمه بالإشراف على رسالتي،وعلى سعة صدره، وكريم معاملته، وجهده الواضح في المتابعة والتوجيه والحرص، وأسأله سبحانه أن يبارك له في علمه وعمله، وينسأ له في أثره، ويصلح له عقبه.

كما أتقدم بوافر الشكر والتقدير للمناقشين الكريمين سعادة الدكتور/عبدالله الشويمان وسعادة الدكتور/عبد المحسن الباز، على كريم قبولهما قراءة البحث، وتصويبه، وإبداء النصح والتوجيه، فجزاهما الله خير الجزاء، وأجزل لهما المثوبة والعطا وبارك في علمهما وعملهما ونفع بهما.

كما أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان الجميل لهذا الصرح العلمي الشامخ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ممثلةً في كلية الدعوة والإعلام، فقد أتاحت لي الفرصة لمواصلة دراستي، وأخص منها قسم الدعوة والاحتساب رئيساً وأعضاءً وأساتذةً، على تعليمهم وإعانتهم وحسن معاملتهم، لا حرمهم الله الأجر.

وأبعث رسالة شكر إلى كل من شدَّ أزري أبنائي وإخوتي، وصديقاتي، ومن له يد في إتمام هذه الرسالة، فجزاهم الله خير الجزاء، وأجزل لهم المثوبة والعطاء.

التمهيد

وفيه:

- التعريف بمصطلح الرفق.
- التعريف بمصطلحات البحث ذات الصلة.

تمهيد

يتضمن هذا التمهيد البحث في تعريف الرفق؛ وذلك في فقرتين:

الأولى: التعريف بمصطلح الرفق.

الثانية: التعريف بمصطلحات البحث ذات الصلة.

التعريف بمصطلح الرفق.

- **التعريف اللغوي.**

قال ابن فارس: "الراء والفاء والقاف أصل واحد، يدل على موافقةٍ ومقاربةٍ بلا عنف، فالرفق: خلاف العنف"(١).

ودلت كتب اللغة ومعاجمها على أن لفظ الرفق يُستعمل ويراد به عدد من المعاني، ألخصها في التالي:

أولاً: يطلق الرفق ويراد به ضد العنف.

ثانياً: يطلق الرفق ويراد به اللين.

ثالثاً: يطلق ويراد به السهولة واليسر.

---

(١) معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكريا (مادة رفق- باب الراء والفاء وما يثلثهما)، (ص٤١٣).

قال ابن منظور: الرفق: ضد العنف، رفق بالأمر وله وعليه، يَرْفُق رِفْقاً ورَفُقَ يَرْفُقُ، ورَفِقَ: لطف، ورفق بالرجل وأَرْفَقه بمعنى، وكذلك تَرَفَّق به، ويقال أَرْفَقْته أي نَفَعْته، وأولاه رافِقةً أي رِفْقاً، وهو به رَفِيق لَطِيف. الليث: الرَّفقّ لين الجانب ولَطافةُ الفعل، وابن الأعرابي: رَفَقَ انْتَظَر، ورفق إذا كان رفيقاً بالعمل، والرُفْقَةُ: الجماعة ترافقهم في سفرك، قال تعالى: ﴿ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾[١]، والمِرْفِقُ الأمر الرَّفيقُ، والمِرفَق والمِرفِقُ من الأمر وهو ما ارتفقْت وانْتفعْت به[٢].

والرِّفْقُ: بالكسر، ما استُعين به، قال تعالى: ﴿ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾[٣].

وأَرْفَقُ: بَيِّنُ الرَّفَقِ، والرِّفْقُ واللُّطْفُ وحُسْنُ الصَّنيعِ. وأرفقه: رَفَقَ به ونَفَعَهُ، وارْتَفَقَ: اتَّكَأ على مِرْفَقِ يَدِه، والْمُرْتَفقُ: الواقف الثابت الدائم[٤].

وماءٌ رَفَقٌ، ومرتع رفق: أي سهل المطلب[٥].

والرِّفْق، ضد الخُرْق، رَفَقَ يرفُق رِفْقاً فهو رفيق بكذا وكذا، وفلان رفيق بفلان ورافِق به، وهو اللطف وحُسْن الصنيع إليه[٦].

والرفق هو التوسط واللطافة في الأمر[٧].

---

(١) سورة النساء (آية: ٦٩).

(٢) لسان العرب، لابن منظور (مادة رفق)، (٢٧٣/٥).

(٣) سورة الكهف (آية: ١٦).

(٤) القاموس المحيط، للفيروزآبادي (ص ١١٤٥).

(٥) مختار الصحاح، للرازي (باب القاف- فصل الراء)، (ص ٣٦٣).

(٦) جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن دريد، ح: رمزي بعلبكي (٧٨٤/٢).

(٧) الكليات، لأبي البقاء الكفومي، ح: عدنان درويش، محمد المصري (ص ٤٨٢).

ومن خلال ما ذكر أهل اللغة من معانٍ عديدة للرفق يتضح لنا الآتي:

١. تعدد معاني الرفق واستعمالاته.

٢. أن لفظ العنف والشدة والصعوبة ألفاظ تقابل لفظ الرفق.

٣. الرفق يدور حول معنى اللين والسهولة واليسر.

٤. أن الرفق يتعلق بالقول والفعل.

- **التعريف الاصطلاحي:**

تنوّعت عبارات أهل العلم في تعريف الرفق وبيان حَدِّهِ، فمنها:

١. ما ذكره سفيان الثوري-رحمه الله- لأصحابه حيث قال: (أتدرون ما الرفق؟ قالوا: قل يا أبا محمد، قال: أن تضع الأمور في مواضعها، الشدة في موضعها، واللين في موضعه، والسيف في موضعه، والسوط في موضعه)[(١)].

وما ذكره الثوري -رحمه الله- عن الرفق، فيه إشارة إلى أن استعمال الرفق يجب أن يكون في موضعه المناسب له حتى يصح أن يسمى رفقاً.

٢. وعرف الزمخشري الرفق بأنه: "لِين الجانب، ولطافة الفعل"[(٢)].

وقد أشار الزمخشري في تعريفه إلى أن مدار الرفق على اللّطافة واللين، بحيث يكون المرء ليّن الجانب في تعامله لطيفاً في أفعاله.

---

(١) إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي (١٧٦/٣).

(٢) أساس البلاغة، للزمخشري، ح: محمود شاكر (مادة رفق) (٦٦٢).

٣. وعرفه ابن حجر بقوله: "لين الجانب بالقول والفعل، والأخذ بالأسهل، وهو ضِدُّ العنف"[١].

وهذا المعنى قريب مما ذكره الزمخشري، إلا أنه أشار إلى أن الرفق يكون بالفعل كما يكون باللسان.

٤. وقال شمس الحق آبادي: "المداراة مع الرفقاء، ولين الجانب، واللُّطف في أخذ الأمر بأحسن الوجوه وأيسرها"[٢].

وهذ التعريف يشير إلى أن الرفق يقوم على معنىً عام؛ وهو المداراة وأخذ الأمور بأيسر وجوهها.

ومما تقدم نلحظ أن التعاريف التي سبقت تشير إلى عدد من الأمور المتعلقة بالرفق، وهي:

١. أن الرفق يشمل كل مجالات الحياة، سواء ما تعلق منها بالقول أو الفعل.

٢. أن الرفق لا بد أن يكون في محله حتى يصح أن يكون رفقاً، فإن وُضع في غير محله لم يكن رفقاً.

قال الغزالي: "اعلم أن الرفق محمود ويضاده العنف والحدة، والعنف نتيجة الغضب والفظاظة، والرفق واللين نتيجة حسن الخلق والسلامة... فالرفق في الأمور ثمرة لا يثمرها إلا حسن الخلق، ولا يحسن الخلق إلا بضبط قوة الغضب وقوة الشهوة وحفظهما على حد الاعتدال، ولأجل هذا أثنى رسول الله ﷺ على الرفق وبالغ فيه.....

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للعسقلاني (٤٦٤/١٠).

(٢) عون المعبود، للعظيم آبادي (١١٢/١٣).

وهذه إشارة إلى أنه لا بد من مزج الغلظة باللين، والفظاظة بالرفق، كما قيل:

ووضعُ الندى في موضعِ السيفِ بالعُلا مضُر كوضعِ السيفِ في موضعِ الندىَ

فالمحمود وسط بين العنف واللين، كما في سائر الأخلاق"[1].

ومن التعاريف السابقة يمكن أن نخرج بتعريف للرفق بأنه:

لين الجانب، واللّطافة في القول والفعل، مع التوسط والاعتدال.

التعريف الإجرائي للرفق في الدعوة إلى الله:

بعد النظر في المعنى اللغوي للرفق والتعريف الاصطلاحي له، يمكن أن يعرف الرفق في مجال الدعوة إلى الله تعالى بأنه:

لين الجانب، وحسن القول، ولطافة الفعل في دعوة الناس إلى الله على بصيرة.

توضيح التعريف:

فقولنا: "**لين الجانب، وحسن القول، ولطافة الفعل**" ، فهذا يتعلق بمفهوم الرفق عموماً، إذ هو بمعنى اللين، واللّطافة، والحسن، ويشمل القول والعمل.

وقولنا: "**في دعوة الناس إلى الله تعالى**" ، فهو يشير إلى المجال الذي يكون فيه الرفق، وهو مجال الدعوة إلى الله تعالى، بمفهومها الشامل، ومجالاتها العامة.

أما قولنا: "**على بصيرة**" أي بعلم وبحكمة مع توسط واعتدال.

---

(١) إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي (١٨٤/٣)، (بتصرف).

التعريف بمصطلحات البحث ذات الصلة:

تعددت المصطلحات المقاربة لمعنى الرفق، غير أن استعمالها يعتمد بدرجة كبيرة على السياق الذي وردت فيه والمعنى الذي من أجله سيقت، ومن خلال هذا المبحث نذكر بعضاً من المصطلحات مع التعريف بها؛ من حيث المعنى اللغوي والاصطلاحي على النحو التالي:

- **الرحمة.**

الرَّحْمَة: الرَّقَّةُ والتَّعَطُّفُ، والمَرْحَمَةُ مثله، وقد رَحِمْتُهُ وتَرَحَّمْتُ عليه. وتَراحَمَ القومُ: رَحِمَ بعضهم بعضاً. والرَّحْمَةُ: المغفرة، أما في قوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾[١] أي أوصى بعضُهم بعضاً برَحْمَة الضعيف والتعطف عليه، والرَّحْمَةُ في بني آدم عند العرب: رِقَّةُ القلب وعطفه، والرحمة صفة من صفات الله سبحانه كما يليق بجلاله.[٢]

الرحمة اصطلاحاً: هي إرادة إيصال الخير، وهي الإنعام على المحتاج إليه، والرحمة هي: فعل الرَّاحم من رِقَّة، وتلطُّف، وتعطُّف، وإحسان[٣].

---

(١) سورة البلد (آية: ١٧).

(٢) انظر: لسان العرب، لابن منظور (باب الراء- مادة رحم)، (٥-١٧٣).

(٣) انظر: الأبحاث العلمية للمؤتمر الدولي (نبي الرحمة محمد ﷺ) معالم الرحمة في حقوق المرأة في الإسلام، لأحلام مطالقة (٣/١٣٩٥).

وقال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾[١]، فمرتبة الرفق تلي مرتبة الرحمة، وقد قيل: "بأن من يَشْعُر نحو غيرِه بشعور الرحمة، يكون في معاملته رفيقاً لا عنيفاً، أو يدفعه إلى الرفق به رحمته به"[٢].

وبهذا يظهر أن الرحمة مصطلح قريب المعنى من الرفق، ويؤدي معناه، غير أن الرحمة تتقدم الرفق، فلا يحصل الرفق إلا بوجود رحمة في القلب تكون باعثةً على سلوك الرفق مع الناس، وقد استخدم اللفظان للدلالة على معنى واحد، كما ورد عن مالك بن الحُوَيْرِث ﷺ: قال: "كان رسول الله ﷺ رحِيماً رقيقاً"[٣].

ومن دلالة تقارُب اللفظين؛ أن العلماء قد صنَّفوا أحاديث الرحمة أو الرفق تحت باب الرحمة أو الرفق، مِمَّا يدُلُّ على وجود علاقة وثيقة بينهما، وإن كانت الرحمة تشير إلى الأصل النفسي العاطفي، بينما الرفق فيه دَلالة سُلوكيَّة[٤].

---

(١) سورة آل عمران (آية: ١٥٩).

(٢) الأخلاق الإسلامية وأسسها، لعبدالرحمن الميداني (٣٣٧/٢).

(٣) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب رحمةِ الناس والبهائم، رقم ٦٠٠٨، (١٢٧٨)، ومسلم، كتاب النذر، باب لا وفاء لنذر في معصية الله، رقم (١٦٤١)، (١٠٢٢/٣).

(٤) الأبحاث العلمية للمؤتمر الدولي (نبي الرحمة محمد ﷺ) معالم الرحمة في حقوق المرأة في الإسلام، لأحلام مطالقة (١٣٦١/٣)، (بتصرف).

- **اللين.**

"اللام والياء والنون كلمة واحدة، وهي اللِّين: ضد الخشونة، ويقال: هو في لَيَانٍ من عَيش؛ أي نعمةٍ، وفلان مَلْيَنة؛ أي لِّين الجانب"(١)، وأنه "لذُو مَلْيَنَةٍ: لَيِّنُ الجانِبِ، وهَيِّنٌ لَيِّنٌ"(٢).

اللين اصطلاحاً: اللّين: "هو سهولة الانقياد للحقّ، والتلطّف في معاملة النّاس وعند التّحدّث إليهم"(٣).

ويشكل على هذا التعريف أنه جعل اللين في ذاته سهولة الانقياد، بينما هو الذي يؤدي إلى سهولة الانقياد وليس اللين انقياداً في ذاته.

واللّين يكون على وجهين: لين في الأجسام، كلين الشمع والحديد وغيره، ولين في المعاني، كلين الطبع ولين القول، قال تعالى:﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾(٤)(٥).

وينقسم اللّين بحسب ما يضاف إليه إلى:

١. لين القول، ويعني التلطّف في الحديث مع النّاس، وأكثر ما يكون ذلك مرغوباً في مجال الدّعوة إلى اللّه تعالى.

٢. لين القلب، ويعني رقّته وخشيته من اللّه عزّ وجلّ.

---

(١) معجم المقاييس في اللغة، لأحمد بن فارس بن زكريا (كتاب اللام- باب اللام والياء وما يثلثهما)، (ص ٩٤٤).

(٢) القاموس المحيط للفيروزآبادي (باب النون-فصل اللام)، (ص١٥٩٠).

(٣) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، إعداد مجموعة من المختصين، بإشراف الشيخ/ صالح بن عبدالله بن حميد (٨/ ٣٢٩٦).

(٤) سورة الزمر (آية:٢٣).

(٥) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزآبادي، ح: محمد علي النجار (٤/ ٤٧٢).

٣. لين المعاملة، وتعني الرّفق في معاملة المدعوين، وعدم تعنيفهم وزجرهم.

ويرى بعض المعاصرين أن بين الرفق واللّين عموماً وخصوصاً، يتّفقان في مجال المعاملة، وينفرد اللّين بمجالَي اللّسان والقلب، ومن ثمّ يكون اللّين أعمّ من الرّفق.

وهذا التفريق محل نظر؛ ذلك أنه كما يكون الرفق بالفعل يكون بالقول، وقد ذكروا ما يخالف ذلك في تعريفهم الاصطلاحي للرفق بقولهم: "هو لين الجانب بالقول والفعل، والأخذ بالأسهل، وهو ضدّ العنف"(١).

وبهذا نصل إلى أنهما يتّفقان في مجال اللّسان والمعاملة، أما اللّين فينفرد بمجال القلب.

- **التأني.**

لغةً: مصدر تأنّى، ومعناه ترفقّ وانتظر. والإناءُ: الذي يرتفق به، والأَناةُ والأَنَى: الحلم والوقار وأني، وتأنى واسْتَأْنَى: تثبّت، ابن الأعرابي: تَأَنَّى إذا رَفَق. ويقال اسْتأْنِ في أَمرك؛ أي لا تَعْجَل، والأناة: التُّؤَدَة. وتَأَنَّى في الأَمر؛ أَي تَرَفَّق وتَنَظَّر.(٢)

يقول الخليل: الأناة: الحلم، قال النابغة:

الـرّفق يمن والأنـــاة سعـادة..... فاستأن في رفق تلاقِ نجاحاً(٣).

(١) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، إعداد مجموعة من المختصين (٣٢٩٦/٨).
(٢) انظر: لسان العرب، لابن منظور، (باب الهمزة – مادة أني)، (١/ ٢٥٠).
(٣) انظر: معجم المقاييس في اللغة، لابن فارس (كتاب الهمزة–باب الهمزة والنون وما بعدهما في الثلاثي)، (ص٩١).

التأني اصطلاحاً: التّأنّي عدم العجلة في طلب شيء من الأشياء والتّمهّل في تحصيله والتّرفّق فيه[١].

وثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال لأشج عبدالقيس رضي الله عنه : **"إِنَّ فيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُما اللهُ: الحِلْمُ والأَنَاةُ"**[٢].

- **العطف:**

لغةً: عَطَفَ يَعْطِفُ عَطْفاً، وتعطَّف على رَحِمه: رَقَّ لها، ورجل عاطف وعطوف: عائد بفضله؛ حَسَنُ الخُلُق، العطوف المحبة لزوجها، وامرأة عطيف: هيِّنة ليّنة ذَلول مِطواع لا كبر لها. وعطف الله بقلب السلطان على رعيته إذا جعله عاطفاً رحيماً[٣].

يقال "عَطَفْتُ الشَّيء، إذا أَمَلْتَه، وتعّطفَ بالرَّحمة تعطُّفاً"[٤].

اصطلاحاً: التعاطف؛ إعانة النّاس بعضهم بعضاً، كما يعطف الثّوب عليه ليقوّيه[٥].

ولا يلاحظ العطف إلا بالرفق في معاملة الغير، وإعانة بعضهم بعضاً بالتعاطف والرحمة والخلق الحسن؛ وهنا يظهر خلق العطف بالتحلي بسلوك الرفق.

---

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، لعدد من المختصين (٣/٨٦٥).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله ﷺ، رقم (١٧)، (١/٥٤).

(٣) انظر: لسان العرب، لابن منظور (باب العين، مادة عطف)، (٩/ ٢٦٨).

(٤) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (كتاب الفاء، باب العين والطاء وما يثلثهما)، (ص ٧٩٥).

(٥) انظر: فتح الباري، للعسقلاني، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، رقم (٦٠١١)، (١٠/٤٥٤).

- **اللُّطف:**

لطف: "اللام والطاء والفاء أصلٌ يدلُّ على رِفق ويدلُّ على صغر الشَّيء، فاللُّطف: الرِفّق في العَمل، يقال: هو لطيفٌ بعباده؛ أي رءوف رفيق"(١).

لطف: اللَّطِيف صفة من صفات اللّه واسم من أَسمائه وفي التنزيل العزيز: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾(٢)، وفيه: ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾(٣)، ومعناه الرفيق بعباده، واللَّطِيف: هو الذي اجتمع له الرِّفق في الفعل والعلمُ بدقائق المصالح وإيصالها إلى من قدّرها له من خلقه، ويَلْطُف لُطْفاً إذا رَفَقَ به(٤).

وفي المعاني يستخدم اللطف تارة بمعنى الرفق(٥).

فالرفق واللطف معنيان متقاربان، لكن الرفق جزء من اللّطف، فاللّطف أشمل حيث إنه ذكر في القرآن الكريم صفة لله تعالى ولم يذكر الرفيق؛ وذلك لدقة كلمة اللّطيف على الرفيق، فاللطف يشمل معاني عديدة منها الرفق.

ويتضح مما سبق أن اللُّطف اصطلاحاً هو: إيصال المقصود من قول أو فعل برفق ويسر.

---

(١) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، كتاب اللّام، باب اللّام والطاء وما يثلثهما (ص ٩٥٤).

(٢) سورة الشورى (آية: ١٩).

(٣) سورة الأنعام (آية: ١٠٣).

(٤) انظر: لسان العرب، لابن منظور (باب اللام – مادة لطف)، (٢٨٣/١٢).

(٥) انظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، لعدد من المختصين (٤٣٠/٤).

- **الرأفة:**

الراء والهمزة والفاء كلمةٌ واحدة تدل على رقّة ورحمة، وهي الرّأفة. يقال رَؤُفَ يَرْؤُف رأْفةً ورآفةً، قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾[1][2]، وبناءً على الآية فالرأفة محلها القلب.

الرَّأْفَة: الرحمة، وقيل: أشد الرحمة، رَأَفَ به يَرْأَفُ، ومن صفات الله عزّ وجلّ الرءوف، وهو الرحيم بعباده، العطوف عليهم بأَلطافه، والرأْفَةُ أَخَصُّ من الرحمة وأَرَقُّ منها ولا تكاد تقع في الكراهة، والرحمة قد تقع في الكراهة للمصلحة، ابن الأعرابي: الرأفة الرحمة.[3]

فالرأفة من البواعث على الرفق، فعند حصول الرحمة بالقلب تحصل الرأفة، وهنا يحدث سلوك الرفق.

- **المداراة:**

لغةً: الْمُدارَأَة في حُسْنِ الخُلُق والْمُعاشرَة، فإن ابن الأحمر يقول فيه: أنه يهمز ولا يهمز، يقال: دَارأْتُهُ مدارَأَةً ودارَيْتُهُ إذا اتَّقَيتَه ولايَنْتَه[4].

اصطلاحاً: خفض الجناح للنّاس، ولين الكلام، وترك الإغلاظ لهم في القول، وذلك من أقوى أسباب الأُلفة والمحبة وسَلِّ السَّخِيمة، وقيل: "الْمُرَاد بالمداراة الدَّفْع بِرِفْقٍ"[5].

---

(١) سورة النور (آية:٢).

(٢) معجم مقاييس، لابن فارس (كتاب الراء، باب الراء والهمزة وما يثلثهما)، (ص ٤٣٥).

(٣) لسان العرب، لابن منظور (باب الراء)، (٥/ ٨٢).

(٤) المرجع السابق (باب الدال، مادة درأ)، (٤/ ٣١٤).

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم (٦١٣٢)، (١٠/٥٤٥).

قال ابن القيّم: "المداراة صفة مدح، والمداهنة صفة ذمّ، والفرق بينهما أنّ المداري يتلطّف بصاحبه حتّى يستخرج منه الحقّ أو يردّه عن الباطل، والمداهن يتلطّف به ليقرّه على باطله ويتركه على هواه. فالمداراة لأهل الإيمان والمداهنة لأهل النّفاق"[١].

- **الشفقة:**

الشين والفاء والقاف أصل واحد، يدلُّ على رِقّةٍ في الشيء، ثم يشتقُّ منه، فمن ذلك قولهم: أشفقت في الأمر، إذا رَقَقْت وحاذَرت.[٢]

الشفقة: حرص الناصح على صلاح المنصوح، وهو مُشْفِقٌ وشفِيقٌ، وشَفَقَ وأشْفَقَ: حاذر[٣]، وأشفقت عليه أن يناله مكروه، والشفقة: الخِيفةُ من شدة النصح، وهي رِقَّة من نُصْحٍ أو حُبٍّ يودِّي إلى خوف[٤].

اصطلاحاً: قال الرّاغب: "الْإِشْفَاقُ عناية مختلطة بخوف؛ لأنّ المشفق يحبّ المشفق عليه، ويخاف ما يلحقه، فإذا عدّي بمن فمعنى الخوف فيه أظهر، وإذا عُدِّيَ بفي فمعنى العناية فيه أظهَرُ"[٥].

فالشفقة إحساس في القلب قد يصدر منه رفق بالقول أو العمل، ومن هنا يتضح أن الرفق لا يكون إلا بالشفقة والرحمة على الغير، فالشفقة هي أحد البواعث لسلوك الرفق.

---

(١) الروح، لابن القيم (ص ٢٣١).

(٢) انظر: معجم مقاييس، لابن فارس (كتاب الشين، باب الشين والفاء وما يثلثهما)، (ص ٥٣٠).

(٣) القاموس المحيط، للفيروزآبادي (باب القاف، فصل الشين)، (ص ١١٥٩).

(٤) لسان العرب، لابن منظور (باب الشين، مادة شفق)، (٧/ ١٥٤).

(٥) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني (مادة شفق)، (ص٢٧٠).

الفصل الأول

مشروعية الرفق في الدعوة وأهميته

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مشروعية الرفق.

المبحث الثاني: أهمية الرفق.

المبحث الأول: مشروعية الرفق.

١- أن الله جعل شريعة محمد ﷺ شريعة سماحة ورفق:

جمع الله سبحانه وتعالى في شريعة نبي الرحمة محمد ﷺ، بين كونها حنيفية خالصة في التوحيد والقصد، وبين أنها شريعة سمحة وسهلة في العبادة والعمل، قال تعالى في وصفه لنبيه محمد ﷺ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[(١)]، ومعنى الآية: أن نبينا محمداً ﷺ جاء بشريعة التيسير والسماحة، قال ﷺ: (**بعثت بالحنيفية السمحة**)[(٢)]، فدينه سهل سمح ميسر، لا مشقات فيه ولا تكاليف ثقال، فقد وضع عنهم إصرهم، والشدة التي كانت في شرائع الأمم السابقة[(٣)].

---

(١) سورة الأعراف (آية: ١٥٧).

(٢) رواه أحمد (٢٦٦/٥) بسند حسن، وضعفه الألباني ثم تراجع عن ذلك فحسنه وأورده في الصحيحة، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة، للألباني (١٠٢٢/٦).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم،لابن كثير(٤٨٨/٣)، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي(٣٠٥/١) والتحرير والتنوير، لابن عاشور(١٣٠/٩).

٢- حث الشريعة الإسلامية على التخلق بالرفق:

إن الرفق من الأخلاق النبيلة، والخصال الحميدة؛ التي حث الإسلام عليها، وبيّن فضلها وأثنى على أهلها، فهي دليل على حسن الإسلام، وكمال الإيمان، وهي أساس المحبة والألفة بين الناس والتعاطف بينهم، فحثت الشريعة على التحلي بالرفق، وأوصت به، ودعت إلى استعماله كمنهج للدعوة إلى الله، وبيّنت نتائجه؛ فدلت بعض الآيات بظاهر لفظها أو معناها على مشروعية الرفق، على النحو التالي:

الدلالة من القرآن الكريم على مشروعية الرفق:

١- وصية الله تعالى أنبيائة بالرفق ومنهم موسى عليه السلام :

أوصى الله تعالى أنبياءه ورسله بالتحلي بالرفق في الدعوة إلى دين الله، فالكلام الرقيق اللّين يحرك القلوب ويوقظها؛ فتتذكر وتتعظ فتخشى عاقبة الإسراف ومجاوزة حدود الله، قال تعالى آمراً موسى عليه السلام في خطابه له باتباع طريقة اللّين والرفق في مخاطبة من كان في غاية العتو والاستكبار؛ بأجمل الخطاب، وألينِ الكلام: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾[1]، قال أهل التفسير:"أمر الله سبحانه وتعالى موسى وأخاه -عليهما السلام- بالرفق مع فرعون وإلانة القول معه على الرغم من عتوه وتكبره على الله، فالرفق معه أدعى للاستجابة والقبول، أما التخشين فإنه من أعظم أسباب النفور والتمسك بالكفر؛ لأن القصد من البعثة حصول النفع والهداية لا زيادة الضرر[2]، فالرفق مع فرعون من باب الرحمة والعطف به، وإيقاظ قلبه، لا من باب الخشية والذل.

---

(١) سورة طه (آية: ٤٣-٤٤).

(٢) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٣٦٦/٣). ومفاتيح الغيب، للرازي (٥١/٢٢).

٢- لطف إبراهيم عليه السلام في دعوته لأبيه آزر:

خاطب إبراهيم عليه السلام والده آزر، بألطف العبارات وأحسنها، مع ما كان عليه من ضلال وكفر فقد كان يصنع الأصنام، ويبيعها ويعبدها، ولم يكتفِ بذلك بل دعا لعبادتها، إلا أن هذا الضلال لم يمنع إبراهيم عليه السلام من الرفق مع والده وإلانة القول له، والتلطف بالعبارات معه، قال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴾[1]، ذكر بعض المفسرين في تفسير الآية: أن إبراهيم عليه السلام أورد على أبيه الدلائل والنصائح، وصدّر كلاً منها بالنداء المتضمن للرفق واللين؛ استمالة لقلبه، ورفقاً به، وامتثالاً لأمر ربه، فهنا كان الخطاب خطابَ حليم لسفيه[2].

٣- وصية الله تعالى لنبيه محمد ﷺ بخفض الجناح للمؤمنين:

بيّن سبحانه الطريقة المثلى والمنهج الصحيح للدعوة لدينه، فقد أوصى محمداً ﷺ بوصايا عديدة منها حسن الخلق وإلانة الجانب، بلا تفريط في أحكام الدين أو تشديد وتعسير على الناس، قال تعالى: ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[3]، يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ألِن جانبك لمن آمن بك، واتبعك، وقرِّبهم منك، وحسّن لهم خلقك، ولا تجفُ بهم، ولا

(١) سورة مريم (آية:٤١- ٤٥).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٤٥٩/١٣)، وفتح القدير، للشوكاني (٣٣٥/٣).

(٣) سورة الحجر (آية: ٨٨).

تَغْلُظ عليهم، محبةً وإكراماً وتوداً، فيأمره تعالى ذكره بالرفق بالمؤمنين[١]، وفي تفسير السعدي لقوله تعالى: ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[٢] قال رحمه الله: "فهذه أخلاقه ﷺ أكمل الأخلاق التي يحصل بها من المصالح العظيمة، ودفع المضار ما هو مشاهد؛ فهل يليق بمؤمن بالله ورسوله، ويدعي اتباعه والاقتداء به، أن يكون كَلّاً على المسلمين، شرس الأخلاق، شديد الشكيمة عليهم، غليظ القلب، فظّ القول فظيعه!"[٣].

٤- وصف الله تعالى نبيه محمد ﷺ باللين على جهة المدح والثناء والامتنان:

قال تعالى واصفاً نبيه ﷺ، ومؤكداً على المنهج المناسب في الدعوة إلى الله: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ ﴾[٤]، تعني برحمة الله لك ولأصحابك، منَّ الله عليك أن ألنت لهم جانبك، وخفضت لهم جناحك، وترقّقت عليهم، وحسّنت لهم خلقك، وكثر احتمالك، فاجتمعوا عليك وأحبوك، وامتثلوا أمرك، فالاقتداء بأخلاقه الكريمة، ومعاملة الناس بما كان يعاملهم به ﷺ، من اللين وحسن الخلق والتأليف بينهم، من أوجب الواجبات، وأهم المهمات؛ امتثالاً لأمر الله، وجذباً للعباد لدين الله[٥]، ثم بين سبحانه المنهج الرفيق للرسل والدعاة، قال تعالى: ﴿ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴾[٦]، فهذه أكمل أخلاقه ﷺ، التي يحصل

---

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري (٥٤٢/٧)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي (ص٤٩٦).

(٢) سورة الشعراء (آية: ٢١٥).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي (ص٧٠١).

(٤) سورة آل عمران (آية: ١٥٩).

(٥) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي (٢٣٤)، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي (١٥١).

(٦) سورة آل عمران (آية: ١٥٩).

بها دفع مضارّ، وجلب مصالح عظيمة[١]، وصدق سبحانه إذ قال واصفاً نبيه ﷺ: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[٢]، (عزيز عليه ما عنتم)؛ أي: عزيز عليه عنتكم، وهو دخول المشقّة عليهم والمكروه والأذى، (حريص عليكم)، يقول: حريص على هُدَى ضُلاّلكم وتوبتهم ورجوعهم إلى الحق، (بالمؤمنين رءوف)؛ أي: رفيق رحيم[٣].

٥- وصية الله تعالى لنبيه بالحكمة في الدعوة والموعظة الحسنة:

أوصى الله تعالى نبيه محمداً ﷺ بالدعوة بالحكمة والموعظة والمجادلة المقيدة بالحسنى، فالمجادلة أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله، وركيزة من ركائزها، قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[٤]، هذه الآية نزلت بمكة في وقت الأمر بمهادنة قريش، وأمر الله تعالى نبيه أن يدعو إلى دينه وشرعه بالرفق واللّين واللّطافة، مع إيضاح الحق دون مخاشنة أو تعنيف، وجاء معنى (وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) أي: من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال، فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب، وهكذا ينبغي أن يوعظ المسلمون إلى يوم القيامة، فالقصد من المجادلة حصول الهداية لا المغالبة[٥].

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي (ص ٧٠١).

(٢) سورة التوبة (آية: ١٢٨).

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري (٥٢٢/٦).

(٤) سورة النحل (آية:١٢٥).

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٩١٧/٢)، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي (٥١٩)، وأضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، للشنقيطي (٤٦٠/٣).

٦- أمر الله تعالى للمؤمنين بالرفق عموماً في كل أحوالهم:

أمر الله سبحانه وتعالى عبادة المؤمنين في كتابه العزيز بالرفق بشكل عام، قال سبحانه: ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾[1]، فدل ظاهر الآية على أن القول الحسن للناس واجب عليهم؛ لأن أخذ الميثاق يدل على الوجوب، وظاهر الأمر للوجوب، فمن أدب الإنسان الذي أدّبه الله به أن يكون نزيهاً في أقواله وأفعاله، ويدخل في ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بالقول الليّن، والأدب الحسن الجميل، والخلق الكريم، وسعة الحلم، والصبر على الأذى، فيكون طلقاً مع البرّ والفاجر، والسنيّ والمبتدع، مجاملاً لكل أحد من غير مداهنة، ومن غير أن يتكلم معه بكلام يظن أنه يرضي مذهبه، امتثالاً لأمره سبحانه، ورجاءً لثوابه، وطلباً لهداية خلقه، فثبت أن جميع آداب الدين والدنيا داخلة تحت قوله تعالى: {وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا}، وهذا مما ارتضاه الله وأحبه[2].

---

(١) سورة البقرة (آية:٨٣).

(٢) انظر: وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي (ص٥٠)، ومفاتيح الغيب، للرازي (١٥٤/٣)، وتفسير القرآن الكريم، لابن كثير (١٨٠/١)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٦/٢).

الدلالة من السنّة النبوية على مشروعية الرفق:

ورد في السنّة النبوية أحاديث كثيرة من أقوال النبي ﷺ وأفعاله؛ دالة على الرفق، داعية إليه، حاثّة على التخلّق به، مبيّنة فضله، وثمار التحلي به، وذلك من نواحٍ عديدة، منها:

١- ما كان ﷺ يحثّ عليه أهل بيته، فقد أوصى الرسول ﷺ أم المؤمنين عائشة ﵂ بالرفق، وبيّن أن الرفق صفة من صفات الله سبحانه وتعالى، فعن عائشة زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **" يا عائشة، إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه "**[(١)].

هذا الحديث الشريف أصل في مشروعية الرفق، فقد بيّن رسول الله ﷺ أن الله عز وجل متصف بالرفق، محب له، فمن اتصف به أحبه الله تعالى، وأعطاه من الثواب ما لا يعطي على ما سواه، فهو من الأسباب الموصلة لمحبة الله سبحانه ورضاه وجنانه.

ولقد أشار النبي ﷺ في هذا الحديث إلى ملحظ دقيق، وهو أن المتصف بالرفق تسهل له أموره كلها، فلا يتأتَّى معه من الأمور ما لا يتأتَّى مع ضده، فالله عز وجل يثيب على الرفق ما لا يثيب على غيره، وحتى في مجال الدعوة إلى الله تعالى، فإن أفضل الطرق للوصول لقلوب الخلق التحلي بالرفق، فالخيِّر من يدعو الناس إلى الله تعالى، برفق ولين وتلطف، لا من يدعو بعنف وشدَّة[(٢)].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، رقم (٢٥٩٣)، (٤/١٥٩٠).

(٢) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/١٤٥).

٢- أكد النبي ﷺ أن الخير ملازم للرفق، فعموم الأمور لا تتم إلا بالرفق واللّين والصبر، ولا تكاد تكون خير الأمور إلا بوجود الرفق، ومرافقته لها، فإذا حُرم الإنسان الرفق لم يكد غرضه يتم، قال ﷺ: **"من يُحرم الرفق يحرم الخير"**[(١)]، قال النووي-رحمه الله- في شرحه للحديث: "فضل الرفق والحث على التخلق، وذمّ العنف، والرفق سبب لكل خير"[(٢)].

٣- حث الرسول ﷺ على التحلي بالرفق فهو زينة للأمر ومفتاح للخير، وتركه مفتاح للشر وعيب في الأمر، وهذا ما جاء التأكيد عليه في حديث الرسول ﷺ، فعن عائشة ﵂، عن النبي ﷺ قال: "**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُنزع من شيء إلا شانه**"[(٣)]، والمعنى (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه)؛ أي إن الرفق زينة وكمال للأمور، وسبب لكل خير، (ولا يُنزع من شيء إلا شانه)؛ أي لا ينزع الرفق من أي أمر إلا عيبه وأنقصه[(٤)].

٤- ثناء النبي ﷺ على الرفق، وجعله منهجاً في التعامل مع الناس، حتى في حال إساءتهم، فقد أوصى ﷺ أم المؤمنين عائشة ﵂ بالرفق مع اليهود، والصبر على أذاهم وإساءتهم، فعن عائشة ﵂ قالت: استأذن رهط من اليهود على النبي ﷺ، فقالوا: السام عليك. فقلت: بل عليكم السام واللعنة. فقال ﷺ: **"يا عائشة، إن الله رفيق يحب الرفق**

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، رقم (٢٥٩٢)، (١٥٨٩/٤).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٤٥/١٦).

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، رقم (٢٥٩٤)، (١٥٩٠/٤).

(٤) انظر: التيسير بشرح الجامع الصغير، للمناوي(٢٧٠/٢). وعون المعبود، للعظيم آبادي (كتاب الآداب، باب الرفق، رقم (٤٧٩٨)- (١١٣/٧).

في الأمر كله"، قلت: أولم تسمع ما قالوا؟ **قال:"قلت وعليكم"**[(١)]، فهنا توجيه لأم المؤمنين عائشة ﵂ بالالتزام بالرفق والصبر، والابتعاد عن الشدة والعنف.

قال النووي في شرحه: "هذا من عظيم خلقه ﷺ، وكمال حلمه، وفيه حث على الرفق، والصبر، والحلم، وملاطفة الناس ما لم تدع حاجة إلى المخاشنة"[(٢)].

لقد كان ﷺ مثالاً للصبر والتحمل، والكف عن العنف والتعجل، على الرغم من ما يلقاه من تعدٍّ وتطاول عليه بالقول والفعل، فقد سمع ﷺ لؤم اليهود ومكرهم، ومع هذا جاء توجيهه لأم المؤمنين ﵂ بعدم الإساءة بالرد حتى إن ابتدروا بها، بل لم يزد بأن رد عليهم بقوله: "وعليكم" .

٥- دعا النبي ﷺ لمن ولي من أمر المسلمين شيئاً ورفق بهم؛ أن يرفق الله به، ومن شق عليهم؛ أن يشق الله تعالى عليه، وما أعظمها من مشقة في الدنيا والآخرة- ولا يشترط أن تكون الولاية لحاكم أو خليفة - فرفق الوالي بالرّعية مدعاة لأن يرفق اللّه تعالى بالراعي والرّعية، فعن عائشة ﵂ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول:"**اللهم من ولى من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فأشقق عليه ومن ولى من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فأرفق به** "[(٣)]، "هذا من أبلغ الزواجر عن المشقة على الناس، وأعظم الحث على الرفق بهم، وقد تظاهرت الأحاديث بهذا المعنى"[(٤)].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب استتابة المرتدين، باب إذا عرض الذِّمِّيُّ وغيره بسب النبي ﷺ، رقم (٦٩٢٧)، (١٤٥٣) .ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، رقم (٢٥٩٣)، (٤/١٥٩٠).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، (١٤/ ١٤٥).

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية، رقم (١٨٢٨)، (٣/ ١١٥٩).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (١٢/٢١٣).

٦- مشروعية الرفق مع الأهل من الزوج والولد، ومن سواهم من الخدم وغيرهم، فمن استعمل الرفق في بيته فقد أراد الله به خيراً، فعن عطاء بن يسار عن عائشة ﵂ أن رسول الله ﷺ، قال لها: "**يا عائشة ارفقي، فإن الله إذا أراد بأهل بيت خيراً، دلهم على باب الرفق**"[(١)]، هذا الحديث الكريم مع دلالته على مشروعية الرفق، فهو يدل على مشروعيته مع الأهل، ولهذا بوّب له الساعاتي في شرحه للمسند بقوله: "باب الترغيب في الرفق وما جاء في فضله"[(٢)].

٧- بيّن الرسول ﷺ الفضل والحظ عند التخلق بالرفق، فعلى قدر التخلق بالرفق يكون النصيب والحظ من الخير، فعن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ قال: "**من أُعطي حظه من الرفق فقد أُعطي حظه من الخير، ومن حُرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير**"[(٣)]، قال المباركفوري: "فضل الرفق والحث على التخلق به وذم العنف، وقال في اللمعات: يعني أن نصيب الرجل من الخير على قدر نصيبه من الرفق، وحرمانه منه على قدر حرمانه منه"[(٤)].

٨- فضل التحلي بالرفق على صاحبه في الدنيا، فهو يجعل المؤمن لين الطباع، وسهل الانقياد، قريباً من صاحبه، رحيماً به، حليماً معه، فبالرفق تلين الشدائد، وتسهل الصعاب، عن أبي راشد الحبراني قال: أخذ بيدي أبو أمامة الباهلي قال: أخذ بيدي رسول الله ﷺ، فقال لي: "**يا أبا أمامة، إن من المؤمنين من يلين لي قلبه**"[(٥)]، ذكر الساعاتي في

---

(١) مسند الإمام أحمد (١٠٤/٦)، وصححه محققو المسند (٢٥٥/٤١).

(٢) الفتح الرباني، أحمد البنا، باب الترغيب في الرفق وما جاء في فضله (٨٣/١٩).

(٣) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الرفق، رقم (٢٠٢٠)، (٣/ ٤٠٧) حديث حسن صحيح.

(٤) تحفة الأحوذي، المباركفوري (١٣٠/٦).

(٥) مسند الإمام أحمد، (٢٦٧/٥)، وضعفه محققو المسند (٦٣٥/٣٦).

شرحه للمسند: "أن المؤمنين تتفاوت درجاتهم، فمنهم من هو سهل الانقياد، سباق إلى الخير، ومنهم من ليس كذلك"[١]، قال ابن القيم-رحمه الله-: إذا انحرفت عن خلق الأناة والرفق انحرفت إما إلى عجلة وطيش وعنف، وإما إلى تفريط وإضاعة، والرفق والأناة بينهما[٢].

٩- بيّن الرسول ﷺ فضل التحلي بالرفق على صاحبه يوم القيامة، فهو سبب للفلاح في الدنيا والآخرة، قال رسول الله ﷺ: "**حُرّم على النار كل هيّن ليّن سهل قريب من الناس**"[٣]؛ أي تحرم النار على كل سهل، طلق حليم، لين الجانب[٤].

(١) الفتح الرباني، للبنا (١/١١٠).

(٢) مدارج السالكين، لابن القيم (٢/٣١٠).

(٣) مسند الإمام أحمد (١/٤١٥)، وحسنه محققو المسند (٧/٥٣).

(٤) انظر: تحفة الأحوذي، للمباركفوري (٧/١٦٠).

المبحث الثاني: أهمية الرفق.

إن حسن الخلق متعدد الأوجه والمعاني، غير أن صفة الرفق جامعة لمكارم الأخلاق، ضابطة لحسن السلوك، ومن أفضل مظاهر التعامل مع الآخرين وأبهاها، خصوصاً في الدعوة إلى الله، فهي تقرب ولا تنفر، وتحبّب ولا تبغض، وتيسّر ولا تعسر؛ لذلك ينبغي على الداعية إلى الله تعالى التحلي بالرفق واللين عند إيضاح الحق، فهو سبب لهداية الخلق، وبلوغ المقصد من الدعوة.

إن للرفق أهمية كبيرة، خصوصاً فيما يتعلق بالدعوة إلى الله، أذكر منها يلي:

١- أن الرفق صفة من صفات الله عز وجل، وهذا مدح للرفق في أعلى صوره، فهو سبحانه رءوف بعباده، رحيم بهم، رفيق في أمره ونهيه، قال السعدي -رحمه الله-: "ومن أسمائه الرفيق في أفعاله وشرعه، وهذا أُخذ من قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: (**إن الله رفيق يحب أهل الرفق، وإن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف**)"[(١)]، فالله تعالى رفيق في أفعاله خلق المخلوقات كلها بالتدريج شيئاً فشيئاً بحسب حكمته ورفقه مع أنه قادر على خلقها دفعة واحدة وفي لحظة واحدة، ومن تدبر المخلوقات وتدبر الشرائع كيف يأتي بها شيئاً بعد شيء، شاهد من ذلك العجب العجيب، فالمتأني الذي يأتي الأمور برفق وسكينة ووقار اتباعاً، فإن كان هذا هديه وطريقه تتيسر له الأمور، وبالأخص الذي يحتاج إلى أمر الناس ونهيهم وإرشادهم، فإنه مضطر إلى الرفق واللين[(٢)].

---

(١) سبق تخريجه (ص٣١).

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى، للسعدي، ح: عبيد العبيد (ص ٥٤).

٢- محبة الله تعالى للرفق وأهله ممن ترفق منهم في جميع أموره وأحواله، وما يترتب على هذه المحبة من أجر ومنفعة في الدنيا والآخرة، فهي من الصفات التي يحبها الله سبحانه ويرضاها، ويحث على التخلق بها، ويعطي عليها من الأجر ما لا يعطي على ما سواه، وهذه دلالة عظيمة على أهمية الرفق، فعن عائشة ﵂ أن رسول الله ﷺ، قال: "**يا عائشة إن الله رفيق، يحب الرفق، ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف، وما لا يعطى على ما سواه**"[(١)] يقول ابن القيم: "وهو سبحانه وتعالى رحيم يحب الرحماء، وإنما يرحم من عباده الرحماء... وعفوّ يحب من يعفو عنهم، وغفور يحب من يغفر لهم، ولطيف يحب اللطيف من عباده، ويبغض الفظ الغليظ القاسي الجعظري الجواظ، ورفيق يحب الرفق وحليم يحب الحلم وبر يحب البر وأهله... ومن رفق بعباده رفق به ومن رحم خلقه رحمه"[(٢)].

٣- أوصى الله سبحانه وتعالى أنبياءه ورسله بالرفق واللّين مع المدعوين، ويظهر ذلك واضحاً في أمره سبحانه لموسى وهارون عليهما السلام باللّين مع عدوه الطاغية فرعون المتكبر، الذي بلغ الغاية في التمرد والكفر، قال تعالى: ﴿ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾[(٣)].

٤- أن المتقصي لسيرة رسولنا وقدوتنا محمد ﷺ، يجد أنها مُصدَّقة لما وصفته به عائشة ﵂ فقد كان خلقه القرآن، فكان ﷺ أرفق الناس وألطفهم وأرحمهم في بيته، وقد اتصف بالرفق والحلم في أقواله وأفعاله مع جميع أصحابه ﵃، ولهذا امتنّ الله تعالى عليه بذلك الخُلق، قال تعالى: ﴿ **فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ**

---

(١) سبق تخريجه (ص٣١).

(٢) الوابل الصيب، لابن قيم الجوزية (ص٤٩).

(٣) سورة طه (آية: ٤٣-٤٤).

﴿حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾[١]، لقد جنبه الله تعالى الغلظة والفظاظة، فما أغلظ على أحد قولاً ولا فعلاً، بل كان ﷺ يلاقي الغلظة باللّين، والإساءة بالإحسان، وعن أنس بن مالك ﷺ، قال: (خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، والله ما قال لي أفاً قط، ولا قال لي لشيء: لم فعلت كذا، وهلا فعلت كذا)[٢]، قال عبيد بن عمير ﷺ : كان عمر –رحمة الله عليه– لا يُثْبت آيةً في المصحف حتى يَشْهَدَ رجلان، فجاء رجل من الأنصار بهاتين الآيتين: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٣]، فقال عمر: لا أسألك عليهما بيّنةً أبدًا، كذا كان رسول الله ﷺ!"[٤].

وعن عطاء بن يسار قال: لقيت عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ، قلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، قال: أجل، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن، يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، وحرزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر....[٥].

٥– أن الرسول ﷺ دعا للتحلي بالرفق واللين، وأمر أهله وأصحابه بالتخلق بهما، ونهى عن الغضب والعنف والغلظة في جميع الأمور، فعن عائشة ﷺ قالت: استأذن رهط من اليهود على النبي ﷺ، فقالوا: السام عليك، فقلت: بل عليكم السام واللعنة، فقال: "**يا**

---

(١) سورة آل عمران (آية: ١٥٩).

(٢) رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً، رقم (٢٣٠٩)، (١٤٣٩/٤).

(٣) سورة التوبة (آية: ١٢٨).

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري (٥٢٤/٦).

(٥) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب"إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذير" (١٠٣٦)، رقم (٤٨٣٨).

عائشة إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله"، قلت: أو لم تسمع ما قالوا؟ قال: **"قلت وعليكم"**[١].

٦- أوصى النبي ﷺ دعاته ورسله بالرفق مع المدعوين، قال رسول الله ﷺ للطفيل ابن عمرو الدوسي رضي الله عنه[٢]: **(ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم)** [٣]، فما خص رسول الله ﷺ ذكر الرفق بعد الدعوة إلا لأهميته في الدعوة إلى الله تعالى، وحاجة الناس إليه.

وكان ﷺ يحب التخفيف والتيسير على الخلق، رفقاً ورحمةً بهم، وسعياً لجذبهم للدين، ودخولهم في الإسلام، فعن أنس بن مالك رضي الله عنهم قال: قال النبي ﷺ: **"يسروا ولا تعسروا، وبشِّروا ولا تنفروا"**[٤]، ذكر ابن حجر -رحمه الله- في شرحه: "والمراد تأليف من قرب إسلامه وترك التشديد عليه في الابتداء، وكذلك الزجر عن المعاصي ينبغي أن يكون بتلطف ليقبل، وكذا تعلم العلم ينبغي أن يكون بالتدريج؛ لأن الشيء إذا كان في ابتدائه سهلاً حبب إلى من يدخل فيه وتلقاه بانبساط، وكانت عاقبته غالباً الازدياد، بخلاف ضده"[٥].

٧- أن المنهج في الدعوة إلى الله تعالى يقوم على أساس الرفق في الدعوة قولاً وعملاً، فهو أسهل الطرق لكسب قلوب الناس والتأثير فيهم، فيحصل بذلك قَبُول الشخص وما يأتي به، فتميل النفوس إليه، وتنشرح الصدور له، وترق القلوب معه، فيشعر المدعو بحب

---

(١) سبق تخريجه (٣٣).

(٢) سيرة ابن هشام، الطفيل بن عمرو الدوسي (١/٣٤٤).

(٣) دلائل النبوة، للبيهقي، ح: عبد المعطي قلعجي (٥/٣٦٢).

(٤) رواه البخاري، كتاب العلم، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة،(٢٠) رقم(٦٨)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير (٣/١٠٩٣) رقم (١٧٣٣).

(٥) فتح الباري، لابن حجر (١/١٩٧).

الداعية له وشفقته عليه، فتنمو روح المحبة والتآلف بينهما، فالنفس مجبولة على حب من أحسن إليها، وتنفر من الفظّ الغليظ.

٨- أن الرفق من مكارم الأخلاق فمعه ترتاح النفس والجسد، ويكثر الخير وتزداد البركة، فتميل النفوس للداعية، وتستجيب له، فيحصل الاتباع، قال تعالى: ﴿ **وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ** ﴾[(١)].

٩- الرفق رأس الحكمة، ودليل تمام العقل، وكمال الإيمان، وحسن الإسلام، فهو ثمرة كبرى من ثمار التدين الصحيح، تؤخذ معه الأمور برفق وسكينة ووقار، فتضبط التصرفات، وتتيسر الأمور، عن هاشم بن عروة عن أبيه أنه قال: "مكتوب في الحكمة: الرفق رأس الحكمة"[(٢)].

١٠- أن الرفق زينة للأمور، وفقده يبعدها عن الحق والصواب، فالتحلي بهذا الخلق العظيم يعود على المسلم بالنفع في الدنيا والآخرة، فعن عائشة ﵂ قَالَت: قال رسول الله ﷺ: "**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه**"[(٣)]، فما أشد الحاجة للتخلق بالرفق في أمور الدعوة إلى الله تعالى.

قال الغزالي -رحمه الله- : "ما أحسنَ الإيمانَ يُزينُه العلمُ، وما أحسنَ العلمَ يُزينُه العملُ، وما أحسن العملَ يزينه الرفقُ، وما أضيف شيءُ إلى شيءٍ، مثلُ حلمٍ إلى علمٍ"[(٤)].

---

(١) سورة آل عمران (آية: ١٥٩).

(٢) الزهد، لأحمد بن حنبل (٤٩/١).

(٣) سبق تخريجه (٣٢).

(٤) إحياء علوم الدين، للغزالي (١٨٦/٣)، والمجالسة وجواهر العلم، لأبي بكر أحمد المالكي (١٦١/٣).

١١- أن الرفق باب للخير والفضيلة، يسهل معه قضاء الأمور وتيسيرها للمرتفق، ومن حوله من الناس.

١٢- أن التحلي بالرفق يعصم الداعية من اتخاذ القرارات الخاطئة أو التصرفات السريعة، التي تكون في ساعة غضب أو عدم تركيز، فتفسد أكثر من أن تصلح، فيبتعد الداعية عن تحقيق الهدف الأساس من الدعوة، ولهذا نهى النبي ﷺ أن يقضي الرجل وهو غضبان، أو أن يطلّق وهو غضبان، قال ﷺ: "**لا طلاق ولا عتاق في إغلاق**"[١]، وقد فُسر الإغلاق بالغضب أو بغياب العقل ساعة الغضب.

فمقاصد الإسلام هي: "تحقيق مصالح العباد ودرء المفاسد والأضرار عنهم في العاجل والآجل، وبهذا كله تتحقق لهم السعادة الحقة في حياتهم هنا وحياتهم هناك"[٢].

١٣- من الأمور المهمة للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يبلغ العلم الصحيح برفق وتأنٍّ، يصاحبه حلم، فالدعوة إلى الله تعالى لا تكون إلا بعلم ورفق وصبر، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: "فلا بد من هذه الثلاثة؛ أي العلم والرفق والصبر، العلم قبل الأمر والنهي، والرفق معه، والصبر بعده"[٣].

وقال: "ولا بد في ذلك من الرفق.... ولا بد أيضاً أن يكون حليمًا صبورًا على الأذى، فلا بد أن يحصل له أذى، فإن لم يحلم ويصبر كان ما يفسد أكثر مما يصلح"[٤]، فلا يأمر الداعية بالمعروف وينهى عن المنكر إلا بعلم صحيح نابع من الكتاب والسنّة، ومعرفة أحوال المدعوين، ومدى تقبلهم للدعوة، وأن يصاحب هذا العلم الرفق والتأني من غير عنف ولا

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الطلاق، باب في الطلاق على غلط (٢/٢٥٨)رقم (٢١٩٣)، وحسنه الألباني.

(٢) أصول الدعوة، لعبدالكريم زيدان (ص٣٠١).

(٣) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لابن تيمية (ص ٢٠).

(٤) الاستقامة، لابن تيمية، ح: محمد سالم، فصل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٢/٢٣١).

غلظة، ثم يلي ذلك؛ الصبر عند التبليغ، وتحمل الأذى؛ فالهدف من الدعوة هداية الخلق واستقامتهم على الدين.

١٤- دعا الرسول ﷺ لمن تولى أمراً من أمور المسلمين فرفق بهم؛ أن يرفق الله به، ومن تولى أمرهم وشق عليهم، أن يشق الله عليه، وهذا كان واضحاً في حديث رسول الله ﷺ: "**اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به**"[(١)].

١٥- أن من رُزِقَ الرفق رُزِقَ مفاتيح الخير، وعم الخير منزله، فظهرت علامات محبة الله تعالى لهم، "فيلهمهم الرفق ويدخله عليهم، فبه يتخاطبون، وبه يتعاملون، وبه يتواصون، وأن من يرزق هذه الخلة الكريمة فقد رزق مفاتيح الخير، ومن يحرم منها فهو المحروم من خير كثير"[(٢)]، وهذا الفضل من محبته تعالى لهم، فيأخذون الحظ الأوفر من الخير، فمن دخل الرفق بيته فهو في خير وصلاح وسعادة.

١٦- وأخيراً، فإن التخلق بالرفق في الدعوة إلى الله له نتائج عظيمة وآثار كبيرة؛ ولأهمية هذا الأمر فقد أفردت له فصلاً مستقلاً في ثنايا هذه الدراسة.

---

(١) سبق تخريجه (ص٣٣).

(٢) الرفق في السنة النبوية، لحسن عبه جي (ص٤٤).

الفصل الثاني

أنواع الرفق ومجالاته في الدعوة إلى الله

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أنواع الرفق.

المبحث الثاني: مجالات الرفق.

المبحث الأول: أنواع الرفق.

من خلال البحث اتضح لي أن الرفق في الدعوة إلى الله تعالى ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: من حيث باعثه:

الرفق خلق عظيم، يحبه الله تعالى ويرضاه، وسمة مميزة للداعية، ميزه الله بها، أو سعى مجتهداً لاكتسابها، وقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال لأشج عبدالقيس رضي الله عنه: "**إن فيك خلتين يحبهما الله؛ الحلم والأناة**" قال: يا رسول الله، أنا أتخلق بهما أم الله جبلني عليهما؟ قال: "**بل الله جبلك عليهما**"، قال: الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما الله ورسوله[1].

دل الحديث السابق دلالة واضحة على أن الرفق من الأخلاق التي يحبها الله تعالى، وفي إقرار رسول الله ﷺ لاستفهام أشج بن قيس رضي الله عنه بمصدر الخلتين اللتين أحبهما الله تعالى فيه، وعدم نفيه لتساؤله، هل تخلق بهما أم جبله الله عليهما؟ دلالة واضحة على أن الرفق نوعان: **رفق فطري** غريزي في الشخص منذ ولادته، **ورفق مكتسب** لم يجبل الشخص عليه، بل كسبه من مخالطته وتعامله بمن تخلق به من حوله، **وفيما يلي توضيح للنوعين:**

النوع الأول: رفق فطري:

وهو ما فطر عليه الإنسان، ووهبه الله إياه من الرفق واللطف، وهو من الأخلاق الفطرية الملازمة للإنسان منذ خلقه الله عز وجل، والتي جُبِل عليها، ومن الصور الدالة على هذا النوع رفق الأم بولدها، وهذا النوع دوافعه غريزية ظاهرة في الإنسان والحيوان، فعن

(١) سنن أبي داود، كتاب الآداب، باب في قبلة في الجسد (٣٩٨/٤) رقم (٥٢٢٥)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

سلمان ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ: "**إن الله خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض، فجعل منها في الأرض رحمة؛ فبها تعطف الوالدة على ولدها، والوحش والطير بعضها على بعض، فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة**"(١).

وفي رواية أن أبا هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**جعل الله الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلق، حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه**"(٢).

النوع الثاني: رفق مكتسب:

وهذا النوع من الرفق يراد به الإنسان غير الرفيق بطبعه في أقواله وأفعاله، لكنه يجاهد نفسه، ليُخرِجَها من عنفها ورعونتها، ويحملها على الخُلُق اللين الرفيق، ليكسب من خلال لطفه بالناس ورفقه بهم رضا الله تعالى، والقرب من نبيه ﷺ، ثم محبة خلقه، وبهذه المجاهدة يكون رفقه مكتسباً لا غريزياً، دل على ذلك إقرار الرسول ﷺ لأشج بن قيس ﷺ على تساؤله، وأيضاً قول رسول الله ﷺ: "**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما العلم بالتعلم**"(٣)، وعن معاوية ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**يا أيها الناس تعلموا، إنما العلم بالتعلم، والفقه بالتفقه، ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين** »(٤)،فمن جاهد

(١) رواه مسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه (١٦٧٥/٤) رقم (٢٧٥٣).

(٢) رواه البخاري، كتاب الآداب، باب جعل الله الرحمة مئة جزء (١٢٧٧) رقم (٦٠٠١)، ومسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت (١٦٧٥/٤) رقم (٢٧٥٢).

(٣) رواه البخاري، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً (٢٠) رقم (٧١).

(٤) اخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٧٠/١٥)، قال ابن حجر اسناده حسن، فتح الباري (٢٩٤/١).

نفسه واجتهد لطلب العلم تعلم وتفقه فيه، كذلك الرفق فمن جاهد نفسه للتخلق به فسينال ذلك الخُلُق بإذن الله.

وعن عائشة ﵂ تقول: سمع رسول الله ﷺ صوت خصوم بالباب عالية أصواتهما، وإذا أحدهما يستوضع الآخر[(١)]، ويسترفقه في شيء، وهو يقول: والله لا أفعل، فخرج عليهما رسول الله ﷺ فقال: "**أين المتألي على الله لا يفعل المعروف؟**" ، فقال: أنا يا رسول الله، وله أي ذلك أحب[(٢)(٣)]، فحرصه ﷺ في توجيه أصحابه وحثه لهم بمجاهدة النفس وحملها على الترفق عند التعامل مع الآخرين؛ هو دليل على أن الرفق قد يكتسب حتى إن لم يجبل عليه الشخص.

(١) يستوضع الآخر: أي يطلب منه أن يحط بعض الدين، شرح صحيح مسلم، للنووي (١٠/١٧٦).

(٢) وله أي ذلك أحب: أي من الوضع أو الرفق. شرح صحيح مسلم، للنووي (١٠/١٧٦).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلح، باب هل يشير الإمام بالصلح (٥٤٢) رقم (٢٧٠٥). ومسلم، كتاب المساقاة، باب استحباب الوضع من الدين (٣/٩٦٥) رقم (١٥٥٧).

القسم الثاني من حيث محلِّه:

ينقسم الرفق من حيث محله إلى الآتي:

أولاً: الرفق مع النفس.

ثانياً: الرفق مع المسلمين.

ثالثاً: الرفق مع غير المسلمين.

وفيما يلي توضيح لهذه الأنواع:

النوع الأول: الرفق مع النفس:

لقد تجلى هذا النوع من الرفق بعدة صور متعلقة بمداراة للنفس، وعدم المشقة بها أو الإثقال عليها، نذكر منها ما يلي:

الرفق بالنفس فيما يتعلق بطلب العلم، ويدخل فيه صور عديدة أذكر منها ما يلي:

- **وجب على الداعية قبل البدء بالدعوة إلى الله تسليح النفس بالعقيدة الصحيحة، والإيمان القوي، والعلم الصحيح**، مرتكزاً على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ

ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[١]؛ أي "أن من اتبعه ﷺ فأنه لابد أن يدعو إلى الله على بصيرة لا على جهل"[٢].

وهذا التسليح يوفر الأمن للنفس، ويحميها ويزكيها، وهو لازم من لوازم الدعوة، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[٣]، فبتمكن الإيمان في النفس، تصبح النفس مطمئنة، راضية، ومتمكنة من مواجهة ما حولها من الصعوبات والمعوقات، فمن طلب العلم بتثبت، ورفق، وروية ثبت علمه في نفسه، وزاد إيمانه، وقويت عزيمته، فعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**إن هذا الدين متين**[٤] **فأوغلوا**[٥] **فيه برفق**"[٦]، قال ابن الأثير-رحمه الله-: "سر فيه برفق، وابلغ الغاية القصوى منه، لا على سبيل التهافت والخرق، ولا تحمل على نفسك وتكلفها ما لا تطيق؛ فتعجز وتترك الدين والعمل"[٧].

وقد قال الشيخ بكر أبو زيد -رحمه الله-: "تحل بالثبات والتثبت، لاسيما في الملمات والمهمات، ومنه الصبر والثبات في التلقي، وطي الساعات في الطلب على الأشياخ، فإن من

---

(١) سورة يوسف (آية:١٠٨).

(٢) زاد الداعية، لابن عثيمين (ص ٨).

(٣) سورة الأنعام (آية:٨٢).

(٤) متين: قال المناوي: أي صلب شديد. فيض القدير، للمناوي (٢/٦٩٠).

(٥) أوغلوا فيه برفق: قال المناوي: أي سيروا فيه برفق من غير تكلف فلا تحمل النفس ما لا تطيق. فيض القدير، للمناوي (٢/٦٩٠).

(٦) رواه أحمد في مسنده، مسند أنس بن مالك (٣/١٩٩). وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

(٧) النهاية، لابن الأثير (ص١٨٠).

ثبت نبت"[١]، فهنا مسألتان؛ الأولى: أن من الرفق بالنفس أن تتعلم وتدعو على بصيرة حتى لا تورد نفسك للمهالك.

والثانية: أن من الرفق بالنفس عدم تحميلها مالا تطيق من المشقة في طلب العلم بل بالتدرج والرفق.

- **ومع أهمية تسلح الداعية بالعلم الشرعي، إلا أنه مكلف بأن لا يشق بنفسه، أو يهلكها، أو يحملها فوق طاقتها،** قال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٍ﴾[٢]، أي "لا يريد أن يعنت الناس، ويحملهم على الحرج والمشقة بالتكاليف.... فهو الرفق والفضل والواقعية في هذا المنهج اليسير القويم"[٣].

فلا بد أن يبدأ الداعية بالتدرج برفق في القراءة والاطلاع، فيأخذ من الكتب ذات المعاني الواضحة، والأسلوب المبسط؛ ليرتقي بنفسه حتى يصل إلى مستوى أعلى من الكتب ذات المعاني الصعبة؛ ليسهل عليه فهمها ودراستها، فعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: "**إن الدين يسر، ولن يشادّ الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وابشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة**"[٤].

قال الشنقيطي -رحمه الله- وهو يتحدث عن عدم الاستعجال في طلب العلم: "ينبغي على طالب العلم ألا يستعجل في طلب العلم، .... فكان السلف الصالح -رحمة الله عليهم- يعتنون بطول الزمان في طلب العلم، فكلما طال زمان طالب العلم كلما أحبه الله، وهيأه لمرتبة عظيمة في الإسلام، وكلما استعجل طالب العلم فظهر للناس ظهر على قصور،

---

(١) المجموعة العلمية، حلية طالب العلم (ص ١٥٣).

(٢) سورة المائدة (آية:٦).

(٣) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب (٢/٨٥٠).

(٤) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر (١٢) رقم (٣٩).

وحب الانتهاء من العلم بداراً يدل على وجود الفتنة في قلب صاحبه، وأنه يحب الظهور للناس، فينبغي على الإنسان أن لا يستعجل وأن يتريث، وقد تفقه علماء الإسلام على الأئمة سنوات عظيمة؛ فقد تفقه عبدالله بن وهب على يدي الإمام مالك أكثر من عشرين سنة، وكان سواده لا يفارق سواد الإمام مالك، وكانوا يلازمون العالم يسمعون ما يقول، ويعملون بما يأمر به، ثم لا يمكن أن يفوتهم مجلس من مجالس العلم، .... وكانوا يلازمون العلماء ملازمة تامة، وذكر عن الإمام مالك –رحمة الله عليه– أنه لما قرئ عليه الموطّأ فيما يقرب من عام قال: (كتاب ألفته في أكثر من عشرين سنة، تقرؤونه في عام! ما أقل ما تفقهون)[١].

ومن صور الرفق بالنفس عدم نسيانها بالنصح والتوجيه من أداء عبادة أو ترك معصية، قال سبحانه: ﴿ **أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ** ﴾[٢]، فمن أمر بخير فلابد أن يكون أول المسارعين إليه، ومن نهى عن منكر فليكن أبعد الناس عنه، ومن خالف ذلك دل على ضعف ونقص في عقله، فعلى الإنسان واجبان: أمر نفسه ونهيها وأمر غيره ونهيه، وترك أحدهما لا يكون رخصة لترك الآخر، والناس مجبولون على الانقياد والطاعة لمن يوافق قوله عمله، فمن خالف قوله عمله تعدى الضرر إلى غيره[٣].

فالسيرة الطيبة، والأخلاق الحميدة، والصفات الحسنة؛ تجذب المدعوين إلى الداعي؛ فيقبلون عليه، ويميلون إليه، ويتأثرون به، فالتأثر بالأفعال أكثر من التأثر بالأقوال.

---

(١) شرح زاد المستقنع، للشنقيطي (ص ٨).

(٢) سورة البقرة (آية: ٤٤).

(٣) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري (٢٩٦/١). تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١٢٩/١). تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي (ص٤١).

"فالداعية الموفق حينما يكون مهتدياً في نفسه مخبتاً لله طائعاً له مجتنباً نواهيه، ملتزماً بأوامره، فإن ذلك ولا شك دليل على صحة إيمان هذا الداعية، ودليل على صدق ما يدعو إليه، ويأمر الناس به؛ لأنه أول من التزم، وقام بتنفيذ ما يدعو إليه، وهذا من أقوى الوسائل والسبل في إقناع المدعوين وتقبلهم لما يدعون إليه، ولو لم تكن الدعوة بصورة مباشرة، ..... فالخلق الحميد، والسيرة الطيبة العطرة، تشد الناس وتدعوهم إلى الإيمان، والدخول في الإسلام"[١].

قال الحسن البصري-رحمه الله-: "الواعظ من وعظ الناس بعمله لا بقوله، وكان هذا شأن أبينا إبراهيم والذين معه من الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم، وإذا أراد أن يأمر بشيء بدأ بنفسه ففعله، وإذا أراد أن ينهى عن شيء انتهى عنه"[٢].

وقال أبو الأسود الدؤلي:

لا تنــه عن خلق وتـــــأتي مثله عـــار عليك إذا فعلت عظيم
فــابدأ بنفسك فـانهها عن غيهــا فــإذا انتهت عنه فأنت حـكيم
فهـناك يقبل إن وعظت ويقتــدى بـالقول منـك وينفـع التــعليم[٣]

- **ومن صور الرفق بالنفس عدم تحميلها وتكليفها ما لا تطيق** من العبادات والطاعات، أو المبالغة بالدعوة وإرهاق النفس، حتى تعجز وتترك العمل، فإذا كان الإسلام قد رخص للمسلم في العبادات فمن باب أولى ما دون ذلك، قال تعالى: ﴿ **لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا**

(١) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية دراسة تأصيلية على ضوء الواقع المعاصر، لعبدالرحيم المغذوي.
(٢) فقه الدعوة في إنكار المنكر، لعبدالحميد البلالي (ص٥٠).
(٣) المستطرف في كل فن مستظرف، لشهاب الدين محمد أبي الفتح الأبشيهي(ص ٤٨).

﴿ **إِلَّا وُسۡعَهَا** ﴾[١]، فلم يكلف الله عباده ولم يحملهم فوق طاقتهم، فجميع ما دعاهم إليه في وسعهم لا دون ذلك، فلم يشق عليهم لا بأمر ولا بنهي، بل سهل عليهم شرعه غاية التسهيل، وهذا من لطفه ورفقه وإحسانه بهم[٢].

وسئل سفيان بن عيينة –رحمه الله– عن قوله عز وجل: ﴿ **لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا** ﴾ فقال: إلا يسرها، ولم يكلفها فوق طاقتها، وهذا قول حسن؛ لأن الوسع ما دون الطاقة[٣].

وقد أشار رسول الله ﷺ إلى أن للجسد حقاً على صاحبه برعايته والمحافظة عليه، وعدم إرهاقه وتحميله ما لا يطيق من العبادات وغيرها، فعن عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**يا عبدالله، ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟**" ، قلت: بلى يا رسول الله، قال: "**فلا تفعل، صم وأفطر، وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً**"[٤]، وفي رواية: عن عبدالله بن عمرو ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: "**ألم أخبر أنك تقوم الليل وتصوم النهار؟**"، قلت: إني أفعل ذلك،

---

(١) سورة البقرة (آية:٢٨٦).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٤٩٢/٤). التحرير والتنوير (١٣٥/٣). تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي (١٢٠/١).

(٣) معالم التنزيل، للبغوي (٣٥٧/١).

(٤) رواه البخاري، كتاب النكاح، باب إن لزوجك عليك حقاً (١١٢٩)، رقم (٥١٩٩).

قال: "**فإنك إذا فعلت ذلك هَجَمَتْ[١] عَيْنَاكَ، وَنَفِهَتْ[٢] نَفْسُكَ، لعينك حق، ولنفسك حق، ولأهلك حق، قم ونم وصم وأفطر**"[٣].

فالأولى في العبادة تقديم الواجبات على المندوبات، وأن من تكلف الزيادة على ما طبع عليه يقع له الخلل في الغالب، وفيه الحض على ملازمة العبادة لأنه ﷺ مع كراهته له التشديد على نفسه حضه على الاقتصاد، كأنه قال له: ولا يمنعك اشتغالك بحقوق من ذكر أن تضيع حق العبادة وتترك المندوب جملة، ولكن اجمع بينهما[٤].

كما ذكر ابن الجوزي –رحمه الله– أنه: "لا ينبغي للإنسان أن يحمل على بدنه ما لا يطيق، فإن البدن كالراحلة إن لم يرفق بها لم تصل بالراكب"[٥]، ومما يستدل به على ذلك قول النبي ﷺ لعائشة ﵂ عندما دخل عليها وعندها امرأة قال: "**من هذه؟**" قالت: فلانة، تذكر من صلاتها، قال: "**مه، عليكم بما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا**"، وكان أحب الدين إليه ما دام عليه صاحبه[٦]، أي "اشتغلوا من الأعمال بما تستطيعون المداومة عليه، فمنطوقه يقتضي الأمر بالاقتصار على ما يطاق من العبادة، ومفهومه يقتضي النهي عن تكلف ما لا يطاق، وقال القاضي عياض: يحتمل أن يكون هذا خاصاً بصلاة الليل، ويحتمل أن يكون عاماً في الأعمال الشرعية"[٧].

---

(١) هجمت: غارت أوضعفت لكثرة السهر، فتح الباري، لابن حجر (٤٧/٣).

(٢) نفهت: كلت وتعبت، فتح الباري، لابن حجر (٤٧/٣).

(٣) رواه البخاري، كتاب التهجد، الباب العشرون (٢٢٦) رقم (١١٥٣)، ومسلم، كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به (٦١٧/٢) رقم (١١٩٥).

(٤) فتح الباري، لابن حجر (٤٧/٣).

(٥) صيد الخاطر، لابن الجوزي (٣٩١).

(٦) رواه البخاري، كتاب الأيمان، باب الدين يسر (١٣) رقم (٤٣).

(٧) فتح الباري، لابن حجر (١٢٦/١).

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: دخل النبي ﷺ، فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال: "**ما هذا الحبل؟**"، قالوا: هذا حبل لزينب فإذا فترت تعلقت، فقال النبي ﷺ: "**لا، حُلّوه، ليصلّ أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليقعد**" [(١)]، فيه الحث على الاقتصاد في العبادة واجتناب التعمق، وليس الحديث مختصاً بالصلاة بل هو عام في جميع أعمال البر[(٢)].

- **ومن صور الرفق بالنفس عدم المغالاة في الأقوال والأفعال**: فقد ذم رسول الله ﷺ المغالين بأقوالهم وأفعالهم في الدين، فعن عبدالله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:"**هلك المتنطعون**"[(٣)] قالها ثلاثاً[(٤)]، تعددت أقوال العلماء في تفسير مفهوم المتنطعين، على عدة أقوال منها ما يلي:

١/ المتنطعون هم المتعمقون في الأمر، والمتكلفون للبحث عنه، الخائضون فيما لا يعنيهم ولا تبلغه عقولهم.

٢/ هو التشدق بالكلام وتكلف الفصاحة واستعمال وحشي اللغة في مخاطبة الناس.

٣/ هم الغالون في عبادتهم حتى تخرج عن الشريعة ويسترسل مع وسوسة الشيطان.

٤/ وقيل أنها التفريع على مسألة لا أصل لها في الكتاب ولا السنة ولا الإجماع.[(٥)]

---

(١) رواه البخاري، كتاب التهجد، باب ما يكره من التشديد في العبادة (٢٢٦) رقم (١١٥٠).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٦/٧٠).

(٣) المتنطعون: المتنطع هو المتعمق في الشيء الذي لا يعنيه. جامع العلوم والحكم، لابن رجب (ص٣٧٩).

(٤) رواه مسلم، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون (٤/١٦٣٢)، رقم (٢٦٧٠).

(٥) انظر: عون المعبود، للعظيم آبادي (١٢/٢٣٥). وفيض القدير، للمناوي (٦/٤٥٩).

وجميع هذه الأقوال تشير إلى أهمية التزام الداعية بالكتاب والسنّة وما جاء فيهما، والابتعاد عن الخوض فيما يعود بالضرر على الإيمان في النفس أو التراخي، وتمكن الشيطان ووسوسته.

فليحذر الداعية وليسر في الطريق المستقيم من غير مغالاة أو تقصير، حتى لا يصل إلى ما وصل إليه الخوارج، فقد جاء في حديث أنس بن مالك ﷺ قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أُخبِروا، كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟! قال أحدهم: أما أنا فإني أصلى الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ، فقال: "**أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنى أصوم وأفطر، وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**"[(١)]، لقد كان ﷺ رفيقاً بأمته، ولهذا خفف عنهم العتاب؛ لأنهم فعلوا ما يجوز لهم من الأخذ بالشدة... فحصل منه الرفق من هذه الحيثية لا بترك العتاب أصلاً..... وفي الحديث الحث على الاقتداء بالنبي ﷺ، وذم التعمق والتنزه عن المباح، وحسن العشرة عند الموعظة، والإنكار والتلطف في ذلك[(٢)].

- **ومن الصور؛ الرفق بالنفس بعد تبليغ الدعوة** فلا يلزم الداعية بعد التبليغ زجر المدعوين أو نهيهم لعدم استجابتهم لما يدعو له، فالدعاة هم خلفاء الله في أرضه، يُبلغون دينه، ويبينون أحكامه، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، قال عنهم ابن القيم -رحمه الله-: "هم الذين يدعون إلى دينه وعبادته ومعرفته ومحبته، وهؤلاء هم خواص خلق الله

(١) رواه البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح (١١٠٠) رقم (٥٠٦٣).

(٢) انظر: فتح الباري، لابن حجر (١٠/٥٣٠).

وأفضلهم عند الله منزلة وأعلاهم قدراً"[١]؛ لذا فمن أهم صفات خليفة رسول الله ﷺ الحرص على القيام بواجب الدعوة والسعي لهداية الناس؛ قدوة برسول الله ﷺ، وطمعاً في الأجر والثواب، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[٢].

لذا فالداعية مكلف بالبلاغ والتذكير، وبيان الشرائع والتكاليف، والدعوة بالتي هي أحسن، وكل ذلك برفق وتأنٍّ، فالهداية للطريق المستقيم هي الهدف الأساسي من الدعوة، وهي بيد الرحمن، يهبها -سبحانه- لمن يريد، قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[٤]، "إذ المقصود من دعوة الرسل حصول الاهتداء لا إظهار العظمة وغلظة القول بدون جدوى"[٥]، فإن استجاب الناس للداعية، وإلا دعا لهم بالبصيرة، وسلوك الطريق المستقيم، فلا يعاتب نفسه أو يحملها سبب صدهم أو عدم استجابتهم له، أو يستخدم العنف والزجر لإكراههم بالدخول في الدين، فيساهم في نفورهم وصدهم عن الإسلام؛ قال تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾[٦].

---

(١) مفتاح دار السعادة، لابن القيم (١/١٥٣).

(٢) سورة يوسف (آية: ١٠٨).

(٣) سورة القصص (آية: ٥٦).

(٤) سورة إبراهيم (آية: ٤).

(٥) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٩/٤٧).

(٦) سورة النحل (آية: ٨٢).

النوع الثاني: الرفق مع المسلمين:

كان رسول الله ﷺ حريصاً على هداية المسلمين وثباتهم على الدين، ورجوعهم إلى الحق، فهو أرحم الناس بهم، لا يأمرهم إلا بما يطيقون، فلا يثقل عليهم ولا يغلظ معهم، ويعفو عنهم، كان ﷺ رءوفاً رحيماً بهم، قال الحسين بن الفضل: "لم يجمع الله لأحد من الأنبياء اسمين من أسمائه إلا للنبي محمد ﷺ، فإنه قال: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2]"[3].

كان النبي ﷺ سهلاً ليناً، قريبًا من الناس، مجيبًا لدعوة من دعاه، قاضيًا لحاجة من استقضاه، جابراً لقلب من سأله، لا يحرمه، ولا يرده خائبًا، وإذا أراد أصحابه منه أمرًا وافقهم عليه، وتابعهم فيه إذا لم يكن فيه محذور، وإن عزم على أمر لم يستبد به دونهم، بل يشاورهم ويؤامرهم، وكان يقبل من محسنهم، ويعفو عن مسيئهم، ولم يكن يعاشر جليسًا له إلا أتم عشرة، وأحسنها، فكان لا يعبس في وجهه، ولا يغلظ عليه في مقاله، ولا يطوي عنه بشره، ولا يمسك عليه فلتات لسانه، ولا يؤاخذه بما يصدر منه من جفوة، بل يحسن إلى عشيره غاية الإحسان، ويحتمله غاية الاحتمال ﷺ[4].

وبناءً على ما سبق فإنه يندرج تحت هذا النوع قسمان من الرفق: رفق بالمسلم العاصي، ورفق بالمسلم الجاهل، وفيما يلي بيان لكل قسم:

---

(١) سورة التوبة (آية: ١٢٨).

(٢) سورة البقرة (آية: ١٤٣).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٢٨١/٨).

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي(٨٧٨/١).

القسم الأول: الرفق بالمسلم العاصي:

لقد كان رسول الله ﷺ ليناً رفيقاً مع أهله وأصحابه، يعفو عمن ظلمه، ويحلم على من أساء إليه، رفيقاً سهلاً مع العاصي حتى يتوب ويرجع، لا غليظاً ولا فظاً، ولنا في رسولنا ﷺ أسوة حسنة ومثل أعلى، متبعين نهجه، مقتدين به، "فهل يليق بمؤمن بالله ورسوله، ويدعي اتباعه والاقتداء به، أن يكون كلاًّ على المسلمين، شرس الأخلاق، شديد الشكيمة عليهم، غليظ القلب، فظ القول، فظيعه؟ إن رأى منهم معصية، أو سوء أدب هجرهم، ومقتهم، وأبغضهم، لا لين عنده، ولا أدب لديه، ولا توفيق، قد حصل من هذه المعاملة، من المفاسد، وتعطيل المصالح ما حصل، ومع ذلك تجده محتقراً لمن اتصف بصفات الرسول الكريم، وقد رماه بالنفاق والمداهنة، وقد كمَّل نفسه ورفعها، وأعجب بعمله، فهل هذا إلا من جهله، وتزيين الشيطان وخدعه له؟ ولهذا قال الله لرسوله ﷺ: (فَإِنْ عَصَوْكَ) في أمر من الأمور، فلا تتبرأ منهم، ولا تترك معاملتهم بخفض الجناح، ولين الجانب؛ بل تبرأ من عملهم، فعظهم عليه وانصحهم، وابذل قدرتك في ردهم عنه، وتوبتهم منه، وهذا لدفع احتراز وهْم من يتوهم أن قوله: (وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ) للمؤمنين، يقتضي الرضا بجميع ما يصدر منهم، ما داموا مؤمنين"[(١)]، بل الرفق بهم وتيسير الأمر لهم من غير إفراط ولا تفريط في الدين، أو تساهل في الأحكام والتشريعات، أو تعطيل لحدود الله، فعن عائشة ﵂ قالت ما خير النبي ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما، ما لم يأثم، فإذا كان الإثم كان أبعدهما منه، والله ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى إليه قط، حتى تنتهك حرمات الله، فينتقم لله"[(٢)].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي (٧٠١).

(٢) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ (٣٥٦٠).

وعن أبي أمامة ﷺ قال: إن فتى شاباً أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه، فقال ﷺ: "**ادنه**" ، فدنا منه قريباً، قال فجلس، قال: "**أتحبه لأمك؟**" ، قال: لا والله، جعلني الله فداك، قال: "**ولا الناس يحبونه لأمهاتهم**" ، قال: "**أفتحبه لابنتك؟**" ، قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك، قال: "**ولا الناس يحبونه لبناتهم**" ، قال: "**أفتحبه لأختك؟**" ، قال: لا والله، جعلني الله فداك، قال:"**ولا الناس يحبونه لأخواتهم**"، قال:"**أفتحبه لعمتك؟**"، قال: لا والله، جعلني الله فداك، قال:"**ولا الناس يحبونه لعماتهم**"، قال:"**أفتحبه لخالتك؟**"، قال: لا والله، جعلني الله فداك، قال:"**ولا الناس يحبونه لخالاتهم**"، قال ﷺ: فوضع يده عليه، وقال:"**اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه**"، قال فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء[1].

فهذا الموقف العظيم من رسول الله ﷺ تأكيد للدعاة بالالتزام بالرفق والأناة واجتناب الغلظة والعنف عند اتخاذ القرار والحكم على الغير، حتى لا يتأتى مع الدعوة إفراط وتفريط، فالرفق يسهم في تأليف القلوب، وراحة الأجساد، وزيادة الإيمان، والثبات على الدين.

وهذه قصة سلمة بن صخر الأنصاري ﷺ – الذي جامع أهله في رمضان — يقول: (فلما أصبحت غدوت على قومي فأخبرتهم خبري، فقلت: انطلقوا معي إلى رسول الله ﷺ فأخبره بأمري، فقالوا: لا والله لا نفعل نتخوف أن ينزل فينا قرآن أو يقول فينا رسول الله ﷺ مقالة يبقى علينا عارها، ولكن اذهب أنت فاصنع ما بدا لك، قال: فخرجت فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته خبري فقال: "**أنت بذاك؟**" قلت: أنا بذاك، قال: "**أنت بذاك؟**" قلت: أنا بذاك، قال: "**أنت بذاك؟**"، قلت: أنا بذاك، وها أنا ذا فامض في حكم الله فإني صابر لذلك، قال: "**أعتق رقبة**" قال: فضربت صفحة عنقي بيدي فقلت: لا والذي بعثك بالحق

(١) مسند الإمام أحمد (٥/٢٥٧)، وصححه محققو السند (٣٦/٥٤٥).

لا أملك غيرها، قال: "**صم شهرين**"، قلت: يا رسول الله، وهل أصابني ما أصابني إلا في الصيام؟ قال: "**فأطعم ستين مسكيناً**" ، قلت: والذي بعثك بالحق لقد بتنا ليلتنا هذه وحشى، ما لنا عشاء، قال: "**اذهب إلى صاحب صدقة بني زريق فقل له فليدفعها إليك، فأطعم عنك منها وسقاً ستين مسكيناً، ثم استعن بسائره عليك وعلى عيالك**" ، قال فرجعت إلى قومي فقلت: وجدت عندكم الضيق وسوء الرأي، ووجدت عند رسول الله ﷺ السعة والبركة، أمر لي بصدقتكم فادفعوها إلي، فدفعوها إليه)[1].

لقد كان لسياسة رسول الله ﷺ الحكيمة في سيرته العطرة، وسعة صدره مع أصحابه، وترفقه بهم، وصبره عليهم، الأثر الكبير في ثبات الإيمان في نفوسهم، ونجاح الدعوة إلى الله تعالى.

(١) رواه الترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب ومن سورة المجادلة (٥/١٩٥) رقم (٣٣١٠). وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

القسم الثاني: الرفق بالمسلم الجاهل:

إن استصحاب الرفق واللين في النصح والتوجيه للجاهل لازم من لوازم الدعوة إلى الله، فقد يرتكب المسلم معصية إما ناسياً حكمها الشرعي أو جاهلاً بها، ولولا جهله لما عصى خالقه، فبالرفق يلين القلب، وتميل النفس، فتصغي للحق، وتتوب لله تعالى، فيتوب الله عليها، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾[1]، قال مجاهد وغير واحد من أهل العلم: كل من عصى الله خطأً فهو جاهل حتى ينزع من الذنب، وكل عامل بمعصية الله فهو جاهل حين عملها. وعن ابن عباس: من جهالته عمل السوء[2]، فالشريعة الإسلامية سهلة سمحة، يسيرة على من يسرها الله تعالى عليه، ولهذا كان نهجه ﷺ في دعوته التيسير وترك التعسير، وسيرته حافلة بالصور الدالة على ذلك، أذكر منها ما يلي:

عن أنس بن مالك ﷺ قال: مر النبي ﷺ بامرأة تبكى عند قبر، فقال: "**اتقي الله واصبري**" ، قالت: إليك عني، فإنك لم تصب بمصيبتي، ولم تعرفه، فقيل لها: إنه النبي ﷺ، فأتت باب النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك، فقال ﷺ: "**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**"[3]، ففي الحديث فوائد كثيرة دلت على ما كان فيه ﷺ من التواضع والرفق بالجاهل، ومسامحة المصاب، وقبول اعتذاره، وملازمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفيه أن القاضي لا ينبغي له أن يتخذ من يحجبه عن حوائج الناس، وأن من أمر بمعروف ينبغي له أن يقبل ولو لم يعرف الآمر، وفيه أن الجزع من المنهيات لأمره لها بالتقوى مقروناً بالصبر،

---

(١) سورة النساء (آية: ١٧).

(٢) أصول الدعوة، لعبدالكريم زيدان (٤٠٧).

(٣) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب زيارة القبور (٢٥٢) رقم (١٢٨٣).

وفيه الترغيب في احتمال الأذى عند بذل النصيحة ونشر الموعظة، وأن المواجهة بالخطاب إذا لم تصادف المنوي لا أثر لها[١].

ومن صور تعليم الجاهل برفق ولين ما ورد عن عمر بن الخطاب ﷺ أن رجلاً توضأ فترك موضع ظفر على قدمه فأبصره النبي ﷺ، فقال: "**ارجع فأحسن وضوءك**" ، فرجع ثم صلى[٢]، فلم يعنفه رسول الله ﷺ ولم يزجره بل أوضح له خطأه بتأنٍّ ورفق، "وفيه تعليم الجاهل والرفق به"[٣].

ومنه أيضاً ما ذكره معاوية بن الحكم السلمي ﷺ أنه خرج إلى عمل له في البادية، وقد كان الكلام في الصلاة مباحاً، فلما نزل قوله تعالى: ﴿**حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ**﴾[٤]، حرم الكلام في الصلاة، ولم يكن يعلم بذلك، قال ﷺ: بينما أنا أصلي مع رسول الله ﷺ، إذ عطس رجل من القوم فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أمياه، ما شأنكم تنظرون إليّ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني لكني سكت، فلما صلى رسول الله ﷺ، فبأبي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فوالله ما كهرني[٥] ولا ضربني ولا شتمني، قال: "**إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن**"، أو كما قال رسول الله ﷺ[٦].

---

(١) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر (١٧٧/٣).

(٢) رواه مسلم، كتاب الطهارة، باب وجوب استيعاب جميع أجزاء محل الطهارة (١٨١/١) رقم (٢٤٣).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١٣١/٣).

(٤) سورة البقرة (آية: ٢٣٨).

(٥) الكهر: الانتهار، ما كهرني: ما انتهرني. شرح النووي على صحيح مسلم (٢٠/٥).

(٦) رواه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة (٣١٩/١) رقم (٥٣٧).

فيه ما كان عليه رسول الله ﷺ من عظيم الخلق الذي شهد الله تعالى له به، ورفقه بالجاهل، ورأفته بأمته وشفقته عليهم، وفيه التخلق بخلقه ﷺ في الرفق بالجاهل، وحسن تعليمه واللطف به، وتقريب الصواب إلى فهمه[١].

وحديث الأعرابي الذي بال في المسجد، فعن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة أن أبا هريرة ﷺ أخبره أن أعرابياً بال في المسجد، فثار إليه الناس ليقعوا به، فقال لهم رسول الله ﷺ: "**دعوه، وأهريقوا على بوله ذنوباً من ماء– أو سجلاً من ماء– فإنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين**"[٢]، لقد زجره الصحابة ﷺ وأرادوا الوقوع به، فنهاهم ﷺ حتى ينتهي، ثم دعاه وبيّن له في غاية اللطف واللين أن هذا الفعل لا يصح في المسجد، قال الأعرابي بعد أن فقه: فقام النبي ﷺ إليّ بأبي وأمي فلم يسب، ولم يؤنب، ولم يضرب.[٣]

قال ابن حجر: "وفيه الرفق بالجاهل وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف إذا لم يكن ذلك منه عناداً، ولا سيما إذا كان ممن يحتاج إلى استئلافه، وفيه رأفة النبي ﷺ وحسن خلقه"[٤].

وقد علق الباجي على هذا الحديث بقوله: "وهذه سنة من الرفق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا سيما لمن قرب عهده بالإسلام ولم يعلم منه الاستهانة به، فيعلم أصول الشرائع ويعذر في غيرها حتى تمكن الإسلام من قلوبهم؛ لأنهم إن أُخِذوا بالتشديد في جميع الأحوال خيف عليهم أن تنفر قلوبهم عن الإيمان وتبغض الإسلام، فيؤول ذلك إلى الارتداد والكفر الذي هو أشد مما أنكر عليهم"[٥].

---

(١) شرح النووي على مسلم (٥/٢٠).

(٢) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب قول النبي يسروا ولا تعسروا (١٢٩٩) رقم (٦١٢٨).

(٣) سنن ابن ماجه، كتاب الطهارة وسننها، باب الأرض يصيبها البول (١/١٧٦) رقم (٥٢٩).

(٤) فتح الباري، لابن حجر (١/٣٨٨).

(٥) المنتقى، للباجي (١/ ٤٦٢).

لقد راعى النبي ﷺ هذه المصالح وما يقابلها من المفاسد، ورسم لأمته والدعاة من بعده كيفية الرفق بالمسلم الجاهل أو العاصي وتعليمه ما يلزم من غير عقاب ولا تعنيف أو زجر، إذ لم يكن ذلك منهم عناداً أو استخفافاً، وقد كان لهذا الاستئلاف والرحمة والرفق الأثر الكبير في هدايتهم[١]، وما المقصد من عفوه ﷺ عنهم، والتأني في الحكم عليهم، وعدم تعنيفه لهم؛ إلا تأليفاً لقلوبهم، وحمايةً للدعوة الإسلامية، وسعياً في انتشارها، وليس عجزاً أو ضعفاً، فبوجود الضعف مع الرفق لا يتحقق المقصود من الدعوة إلى الله، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز..."[٢].

(١) انظر: مقومات الداعية الناجح، لسعيد بن وهف (ص ١٧٨).

(٢) رواه مسلم، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز (٤/٢٠٥٢) رقم(٢٦٦٤).

النوع الثالث: الرفق مع غير المسلمين:

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[١]؛ أي للناس كلهم[٢]، لقد أمر الله تعالى نبيه محمد ﷺ وأمر الناس عموماً بالرفق واللين مع الجميع والالتزام معهم بأطيب الكلام عند الأمر أو النهي، "وتعليمهم العلم بالكلام الطيب وإلانة الجانب، والبشاشة، وغير ذلك من كل كلام طيب، فالحسن من القول: أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويحلم، ويعفو، ويرفق، فمن لم يسعه الإحسان بماله أمره سبحانه بالإحسان بقوله، وهو كل خُلُق حسن، رضيه الله تعالى"[٣].

قال القرطبي -رحمه الله-: "فينبغي على الإنسان أن يكون قوله للناس لينًا ووجهه منبسطًا طلقًا مع البر والفاجر والسُني والبدعي من غير مداهنة ومن غير أن يتكلم معه بكلام يُظن أنه يرضي مذهبه"[٤]، فالتحلي بالرفق والرحمة في الدعوة إلى الله لا تعني التخلي عن أصول وقواعد الدين، بل التمسك بها مع استصحابها للرفق واللين بالقول والعمل، وحسن المعاملة، وذلك كله على سبيل الرحمة والعطف عليهم، لا على سبيل الخوف منهم أو الذل لهم، يقول الزمخشري: "من الأمور أمور لا يصلح فيها الرفق إلا الشِّدَّة: كالجرح يعالج، فإذا احتيج للحديد لم يكن منه بُدّ"[٥].

---

(١) سورة البقرة (آية: ٨٣).

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري (٤٣٧/١)

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي (ص٥٠). تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١٨٠/١).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٢٣٣/٢).

(٥) فيض القدير، للمناوي (٥٩/٤).

ومن هذا الباب: أن يترك الجرّاح مبضعه في حال تستلزم الجراحة، أو لا يستأصل عضواً مريضاً ربما تضاعفت الحالة بالإبقاء عليه، أو لا يعطي مريضه الدواء المرَّ، أو غير ذلك[١].

فمن تجاوز حد من حدود الله من ظلم أو قتل أوسلب أو نهب، مشركاً كان أم ملحد، منافق كان أم معاند؛ فهنا يعدل الداعية إلى الله تعالى من الرفق واللين إلى الشدَّة والغلظة، فالرفق معه يعد مخالفة لما جاء في كتاب الله العزيز، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[٢].

وأما رحمة الإسلام بالأمم غير المسلمين فإنما نعني بها رحمته بالأمم الداخلة تحت سلطانه وهم أهل الذمة، ورحمته بهم عدم إكراههم على مفارقة أديانهم، وإجراء العدل بينهم في الأحكام بحيث لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم في الحقوق العامة[٣].

فمن كان همه هداية الناس تحلى بالرفق والصبر حتى يصل إلى المقصود من الدعوة إلى الله، من تبليغ العلم وإيصاله لهم، ولن يتم ذلك إلا إذا اقترنت دعوة الداعي بالرفق واللين حتى تميل القلوب إليه، وتنجذب النفوس له، فيكون الميل والاتباع، وهذا ما أمرنا الإسلام به.

وقد أشار ابن عاشور إلى شيء من حكمة لين النبي ﷺ في دعوته، وأنها سبب لدخول من حوله في الإسلام، قال: "لقد كان العرب أمَّة عُرفت بالأنفة، وإباء الضيم، وسلامةِ الفطرة، وسرعةِ الفهم، وهم المتلقُّون الأوّلون للدين، فلم تكن تليق بهم الشّدة والغلظة، ولكنّهم محتاجون إلى استنزال طائرهم في تبليغ الشريعة لهم، ليتجنّبوا بذلك المكابرةَ الَّتي هي

---

(١) الرفق في السنة النبوية، لحسن محمد عبه جي(ص٨٢).

(٢) سورة التوبة (آية: ٧٣).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٦٩/١٧).

الحائل الوحيد بينهم وبين الإذعان إلى الحقّ، وورد أن صفح النَّبي ﷺ، وعفوه، ورحمته، كان سبباً في دخول كثير في الإسلام"[(١)].

وبناءً على ما ذكر سابقاً، أقسم هذا النوع إلى ثلاثة أقسام، أبينها فيما يلي:

القسم الأول: الرفق مع المدعو المشرك:

سعى نبي الرحمة محمد ﷺ إلى دعوة أمته بنشر التوحيد، وتصحيح العقائد، ومحاربة الشرك بينهم، فالتوحيد أعظم ما أمر الله به، والشرك أعظم ما نهى الله عنه؛ ولهذا كان أول دعوة الرسل جميعاً توحيد الله عز وجل ونفي الشرك.

وقد سلك رسول الله ﷺ في دعوته للمشركين الرفق واللين، لمعرفته بما يحملونه من عقائد وعبادات من غير اليسير عليهم تخليهم عنها، كما أوضح له -جل وعلا- في مواضع عديدة طرق وسبل دعوة المشركين، قال تعالى في سورة التوبة مبيناً أهمية الرفق بالمشرك: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾[(٢)]، فقد جاءت الآية الكريمة موضحة أهمية الرفق واللين مع المشرك أملاً في سماعه لكلام الله، ودخوله في الإسلام، يقول تعالى ذكره لنبيه: وإن استأمنك، يا محمد أو طلب منك أحد من المشركين أن تجيره وتمنعه من الضرر حتى يسمع كلام الله، وينظر حالة الإسلام، فأمنه حتى يسمع كلام الله، ثم إن أسلم فذاك، وإلا فأبلغه محله الذي يأمن فيه فهم قوم لا يعلمون، فربما كان استمرارهم على الكفر لجهل منهم، إذا زال اختاروا عليه الإسلام،

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٤٥/٤).

(٢) سورة التوبة (آية:٦).

فلذلك أمر اللّه رسوله ﷺ وأمته أسوته في الأحكام، أن يجيروا من طلب أن يسمع كلام اللّه تعالى[١].

وقد بيّن رسول الله لأمته منهج وطريق الدعوة إلى الله تعالى لغير المسلمين، متمسكاً بالرفق واللطف، مبتعداً عن الغلظة والشدة والعنف، راغباً في كسب قلوب من حوله، حتى إن بلغ به الأذى، أو لاقى منهم الإساءة، فكان ﷺ متسماً بالرفق واللطف مع أمته، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قيل: يا رسول الله، ادع على المشركين، قال: "**إني لم أبعث لعاناً وإنما بعثت رحمة**"[٢]، فهذا ما قاله ﷺ "لما قيل له ادع على المشركين، يعني: لو كنت أدعو عليهم لبعدوا عن رحمة الله ولصرت قاطعاً عن الخير، إني لم أبعث لهذا"[٣]، وصدق الله وهو القائل: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[٤]، وذكر الطبري-رحمه الله- في تفسيره للآية: "من آمن بالله واليوم الآخر كتب له الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن بالله ورسوله عوفي مما أصاب الأمم من الخسف والقذف"[٥].

وهذا من عطفه ورحمته وترفقه ﷺ، فلم يدعُ عليهم بل دعا لهم، فعندما أستأذن الطفيل بن عمرو ﷺ رسول الله ﷺ ليدعو قومه، أذن له رسول الله ﷺ، وأوصاه بأن يرفق بهم، فذهب إليهم ودعاهم فلم يستجيبوا، فرجع لرسول الله ﷺ وهو غضبان، وطلب منه أن يدعو على دوس لما لاقى منهم من الصد والإباء والأذى حتى ظن المسلمون بأن دوساً ستهلك، لكن رسول الله ﷺ ومعلم الأمة الرحيم بها؛ دعا لهم بالهداية، فعن أبي هريرة ﷺ

---

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري (٣٢١/٦). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي (٣٦٤).

(٢) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدواب (١٥٩٢/٤) رقم (٢٥٩٩).

(٣) فيض القدير، للمناوي (١٧/٣).

(٤) سورة الأنبياء (آية: ١٠٧).

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري (١٠٠/٩).

قال: قدم الطفيل بن عمرو الدوسي ﷺ وأصحابه على النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله، إن دوساً عصت وأبت، فادع الله عليها، فقيل: هلكت دوس، قال ﷺ: "**اللهم اهد دوساً وائت بهم**"(١)، فلولا رحمة رسول الله ﷺ بأمته ورفقه بهم لدعا عليهم، وخصوصاً على من آذاه منهم فهلكوا جميعاً.

وعندما شُج رأس رسول الله ﷺ وكُسرت رباعيته في غزوة أحد، كما رواه عبدالله بن مسعود قال: كأني أنظر إلى النبي ﷺ يحكى نبياً من الأنبياء ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه، ويقول: "**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**"(٢)، لم يزد عليها رسول الله ﷺ شيئاً، بل دعا لهم، جاعلاً عدم علمهم سبباً لعدم الدعاء عليهم، ذكر النووي-رحمه الله- في شرحه: "فيه ما كانوا عليه -صلوات الله وسلامه عليهم- من الحلم والتصبر، والعفو والشفقة على قومهم، ودعائهم لهم بالهداية والغفران، وعذرهم في جنايتهم على أنفسهم بأنهم لا يعلمون، وهذا النبي المشار إليه من المتقدمين، وقد جرى لنبينا ﷺ مثل هذا يوم أحد"(٣).

ولما سألت أم المؤمنين عائشة ﷺ النبي ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: "**لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك**

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء للمشركين بالهدي ليتألفهم (٥٩٥) رقم (٢٩٣٧). ومسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب من فضائل غفار وأسلم وجهينة (١٥٥٤/٤) رقم (٢٥٢٤).

(٢) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حدثنا أبو اليمان (٧١٦) رقم (٣٤٧٧). ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد (١١٣٠/٣) رقم (١٧٩٢).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥٠/١٢).

لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال، فسلم على ثم قال: يا محمد، فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً"(١).

لقد كان رسول الله سهلاً، ليناً، رفيقاً، رحيماً بمن حوله، حريصاً على هدايتهم وميل نفوسهم للإيمان، فتحول الكره والحقد إلى محبة وعطف، والكفر إلى إسلام، فهذا ثمامة بن أثال أحسن رسول الله ﷺ معاملته في الأسر، ورفق به؛ فأسلم ﷺ وتحقق بإسلامه إسلام قومه من بعده، كما جاء في حديث رواه أبو هريرة ﷺ قال: بعث النبي ﷺ خيلاً قبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي ﷺ فقال: "**ما عندك يا ثمامة؟**"، فقال: عندي خير يا محمد، إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت، حتى كان الغد ثم قال له: "**ما عندك يا ثمامة؟**" ، قال: ما قلت لك إن تنعم تنعم على شاكر، فتركه حتى كان بعد الغد، فقال: "**ما عندك يا ثمامة؟**" ، فقال: عندي ما قلت لك، فقال: "**أطلقوا ثمامة**" ، فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إليّ، والله ما كان من دين أبغض إليّ من دينك، فأصبح دينك أحب الدين إليّ، والله ما كان من بلد أبغض إليّ من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد إليّ، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة، فماذا ترى؟ فبشره رسول الله ﷺ، وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت؛ قال: لا، ولكن أسلمت مع محمد

---

(١) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم:"آمين" (٦٦٠)، رقم (٣٢٣١). ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين (١١٣٣/٣)، رقم (١٧٩٥).

رسول الله ﷺ، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ[١]، وقد علق ابن حجر على الحديث بقوله: "ثمامة أقسم أن بغضه انقلب حباً في ساعة واحدة لِما أسداه النبي ﷺ إليه من العفو والمن بغير مقابل، .... وفيه الملاطفة بمن يرجى إسلامه من الأسارى إذا كان في ذلك مصلحة للإسلام، ولا سيما من يتبعه على إسلامه العدد الكثير من قومه"[٢].

هذه بعض الصور التي اتضح فيها رفق النبي ﷺ بقومه من المشركين، ومزيد صبره عليهم، وتحمله لأذاهم رغم صدهم عنه؛ رغبة منه في ميل قلوبهم، وحرصاً منه على إسلامهم، ولهذا انتشر الإسلام في الأرض ولا زال ينتشر؛ فهو دين رحمة ورأفة وعدل، لا دين جور وغلظة.

(١) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة (٩٠٠) رقم (٤٣٧٢). ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ربط الأسير وحبسه وجواز المن عليه (٣/١١١٠) رقم (١٧٦٤).

(٢) فتح الباري، لابن حجر (٧/٦٩٠).

القسم الثاني: الرفق مع المدعو الملحد:

كان لنا في قصص الأنبياء في دعوتهم ونهجهم وسلوكهم القدوة الحسنة، والسيرة الطيبة، فمع اختلاف ردود أفعال أقوامهم، وتعدد أساليب وطرق الدعوة بما يتلاءم مع عباداتهم وتفكيرهم، إلا أن الرفق واللين كان نهجهم في الدعوة إلى الله تعالى لأقوامهم، على الرغم مما لاقوه من العتو والإلحاد، إلا أنهم رفقوا، وصبروا واحتسبوا؛ رجاء دفع ضرر، أو رغبة في إسلامهم، حتى إن لم يهتدِ منهم إلا اليسير.

فالملاحدة حصروا العلوم المدركة في دائرة ضيقة، فما أدركوه بحواسهم وتجاربهم أثبتوه، وما لم يدركوه بذلك نفوه وأنكروه، فأنكروا من أجل ذلك علوم الغيب كلها، وجحدوا ربوبية الله وأفعاله، وعطلوه من صفاته وأفعاله، إذ لم يدخل ذلك تحت مداركهم القاصرة، وهذا باطل شرعاً وعقلاً[1].

فهذا موسى وهارون -عليهما السلام- عندما أمرهما الله تعالى بدعوة أكبر أعدائه فرعون الطاغية المتكبر الذي سعى في الأرض بالفساد والتنكيل والقتل، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[2].

ولم يقف الطاغية فرعون عند هذا فحسب، بل ازداد عتواً وتجبراً بإدعائه الألوهية، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ

(١) الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين، لعبدالرحمن السعدي (ص ١٤).

(٢) سورة القصص (آية:٤).

﴿ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣٨ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾[2].

ولم يكتفِ بالتعظيم من شأن نفسه، بل انتقل إلى تصغير شأن موسى عليه السلام والسخرية منه، قال تعالى: ﴿ أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾[3].

ومع هذا العتو والإلحاد من فرعون إلا أن الله تعالى أمر نبيه موسى وأخاه هارون – عليهما السلام– بدعوة فرعون باللين والرفق، قال تعالى: ﴿ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾[4]، قال السعدي– رحمه الله– في تفسيره للآية: "إن فرعون جاوز الحد في كفره وطغيانه، وظلمه وعدوانه، فاذهبا إليه وقولا له قولاً ليناً، سهلاً، لطيفاً برفق ولين وأدب في القول، من دون فحش ولا صلف، ولا غلظة في المقال أو فظاظة في الأفعال"[5]، لكن فرعون تكبر وعتا وادعى الربوبية، وطارد أولياء الله، حتى يئس موسى عليه السلام من إيمانه، قال تعالى: ﴿ قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا ﴾[6].

وهكذا فقد كان نهج جميع الأنبياء عليهم السلام في دعوتهم متسماً بالرفق واللين، على الرغم مما لاقوه من كفر وتكبر وإلحاد، إلا أنهم لم يغيروا من طريقتهم وأسلوبهم في

---

(١) سورة القصص (آية:٣٨).

(٢) سورة النازعات (آية:٢٤).

(٣) سورة الزخرف (آية:٥٢).

(٤) سورة طه (آية:٤٣-٤٤).

(٥) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي (١٧/٦).

(٦) سورة الإسراء (آية: ١٠٢).

الدعوة إلى الله تعالى؛ طاعة لربهم، وطلباً في قبول الدعوة منهم، "فإن تليين القول مما يكسر سورة عناد العتاة ويلين عريكة الطغاة"[١].

القسم الثالث: الرفق مع المدعو من أهل الكتاب:

لقد كان لنا في الكتاب والسنّة المعين الوافي لبيان أن الشريعة الإسلامية سمحة سهلة، عادلة، جاء فيها الحث على السعي لهداية الناس بالرفق واللين، فلم تفرق بينهم في طريقة الدعوة على الرغم من تعدد ردود أفعالهم، وما يصدر منهم من غلظة وشدة وأذى.

قال تعالى مخاطباً أهل الكتاب في مقام الدعوة: ﴿ **قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿ **قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ** ﴾[٣]، فقد خاطبهم سبحانه بأكرم العبارات وألينها، وناداهم بأحب الأسماء إليهم، كما أمر بمجادلتهم بالتي هي أحسن.

كما أشار القرآن في مواضع عديدة إلى الكيفية التي تكون عليها دعوة أهل الكتاب، وبيّن مواضع الرفق معهم؛ طمعاً لميلهم إلى الحق ووصولهم إلى النور بطريق أسهل وأيسر، قال تعالى: ﴿ **وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا**

---

(١) تفسير أبي السعود، لأبي السعود العمادي (٣٥٧/٤).

(٢) سورة آل عمران (آية:٦٤).

(٣) سورة المائدة (آية: ٧٧).

﴿ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾[1]، فقوله: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾، بيان أن المجادلة بالتي هي أحسن هي الأصل في دعوة أهل الكتاب، ثم ألحقت بالاستثناء،﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ ﴾، قال بعض المفسرين عند قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾، "لا تجادلوا أهل الإيمان منهم إلا بالجميل من القول، ولين الجانب معهم[2]، فلم يأمر سبحانه بالإغلاظ معهم أو الإساءة لهم، بل أمر بالرفق واللين معهم.

وقد تجلى هذا الرفق واضحاً بيناً في السنّة النبوية من خلال سيرة رسول الله ﷺ ودعوته لليهود على الرغم من استهزائهم به وبدينه، وإعراضهم عن داعيهم للحق، ولنا في تلك النماذج أروع الأمثلة التي دلت على رفقه بهم، وصبره على أذاهم، وحرصه على هدايتهم.

لقد كان ﷺ يعامل أهل الكتاب المسالمين معاملة حسنة؛ تأليفا لقلوبهم، وطمعاً في إسلامهم، فعن أنس بن مالك ﷺ قال: كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده فقعد عند رأسه، فقال له: "**أسلم**"، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له: أطع أبا القاسم ﷺ فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: "**الحمد لله الذي أنقذه من النار**"[3]، فمن المؤكد أن معاملة نبي الرحمة والرأفة ومعلم الأمة لليهودي وابنه لها الأثر الكبير في إسلام الغلام، حيث أورثت هذه المعاملة المحبة والألفة والقناعة في قلوب من حوله.

---

(١) سورة العنكبوت (آية:٤٦).

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن،للطبري (١٠/١٥٠).

(٣) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي ومات هل يصلى عليه (٢٦٦) رقم (١٣٥٦).

ومن صور الرأفة والعطف بأهل الكتاب؛ حرصه ﷺ على إسلامهم، وإرسال الرسل لدعوتهم مع التدرج في الدعوة، والتيسير عليهم؛ لأن نزول التعاليم عليهم دفعة واحدة تنفرهم من الدين، ولهذا فالبدء بالأهم فالمهم كان نهجه ﷺ معهم، رحمة وشفقة بهم، وكسباً لقلوبهم، وترسيخاً لتعاليم الشريعة في نفوسهم، حتى يثبت إيمانهم وتعلقهم بالله تعالى، فعن معاذ ﷺ قال: بعثني رسول الله ﷺ فقال: "**إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك، فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**"[(١)].

ولم يقف الإسلام عند هذا الخلق العظيم من الرفق بهم، والتدرج معهم في الدعوة، وحسن مجاورتهم، ومعاملتهم معاملة حسنة، بل وصل في رفقه وسماحته معهم أن حرم على المسلمين الاعتداء عليهم، ودعاهم إلى احترام حقوقهم وعدم التعدي عليها، وحفظ نفس المسالم وعدم انتهاك حرمته، فعن عبدالله بن عمرو ﷺ، عن النبي ﷺ قال: "**من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً**"[(٢)].

وما كان للإسلام أن يصل إلى ما وصل إليه الآن إلا بفضله سبحانه وقدرته، ثم بالرحمة والرفق التي وهبها سبحانه لرسوله محمد ﷺ، وعلى ما تحلى به المسلمين من السماحة في الخُلق، والرفق عند معاملة الغير، ودعوتهم للدين.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء (٢٩٨) رقم (١٤٩٦). ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين (١/٥٤) رقم (١٩).

(٢) رواه البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب أثم من قتل معاهداً بغير جرم (٦٤٦) رقم (٣١٦٦).

"إن وفرة النصوص التي تحث على الرفق وترغب فيه تعطي انطباعاً عاماً عن الإسلام؛ بأنه دين الرفق واللّطف، وتجعل من تلك الأخلاق الكريمة سمة بارزة لهذا الدين، وصفه مميزة لأتباعه، وحينما يلتزم المسلم بتلك الأخلاق: الرفق واللين واللطف والأناة من خلال سلوكه وممارساته ومعاملاته مع الآخرين تظهر من خلاله هذه السمة، فيكون المرآة الصادقة التي تعكس الإسلام الحقيقي"[١].

(١) الرفق في السنة النبوية، لحسن محمد عبه جي (ص ٧٨).

المبحث الثاني: مجالات الرفق.

تنقسم مجالات الرفق في الدعوة إلى الله إلى عدة أقسام، وهي كالتالي:

المجال الأول: الرفق في الدعوة إلى الله في المجال العقدي:

لقد تعددت مجالات الدعوة إلى الله تعالى فكان من أساسها وأهمها المجال العقدي، وهو كل ما يتعلق بالاعتقاد من انحراف عقدي سواء ارتكب حراماً أو ترك واجباً، فكل صور شركهم وتعلقهم بغير الله تعالى داخلة في هذا المجال، فجاءت دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم لأقوامهم جميعها عقدية، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾[1].

وقال تعالى في كتابه العزيز: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴾[2]، "فوحدة الدعوة بين الرسل هي لا إله إلا الله، المفسرة بعبادة الله تعالى وحده واجتناب الطاغوت"[3].

فجميع الرسل والأنبياء من نوح عليه السلام إلى محمد ﷺ، قالوا: يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره، وقد اتسمت دعوتهم جميعاً باللين والسماحة والرفق، استجابة لله تعالى، وكسباً لقلوب من حولهم، وشفقة عليهم من العذاب؛ إذ إن المقصود من دعوتهم للخلق

---

(١) سورة الأنبياء (آية: ٢٥).

(٢) سورة النحل (آية: ٣٦).

(٣) أيسر التفاسير، لأبي بكر الجزائري (ص ٨٨٥).

حصول الاهتداء، لا إظهار العظمة وغلظة القول فينفر الخلق منهم، فالخلق مجبولون على حب من أحسن إليهم، ولهذا فجميع الأنبياء نادوا أقوامهم "يا قوم" استلطافاً لهم، ورغبة في كسب قلوبهم وميلها للحق.

فهذا هود عليه السلام يستلطف قومه، ويتحبب لهم، ويلين القول معهم؛ شفقة بهم، وطمعاً في رجوعهم للحق، قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[1].

وصالح عليه السلام أُرسِل إلى قوم يعبدون الأصنام والأوثان، فما كان منه عليه السلام إلا دعوتهم لعبادة الله وحده وترك عبادة غيره، ملتزماً بما أمره الله به من الرفق واللين بقومه، رحمة بهم، وخشية عليهم، قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾[2].

وكذلك شعيب عليه السلام، دعا قومه بالرفق واللين، وذكّرهم بخوفه وخشيته عليهم من عذاب الله عز وجل لهم، قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴾[3].

---

(١) سورة الأعراف (آية: ٦٥).

(٢) سورة هود (آية: ٦١).

(٣) سورة هود (آية: ٨٤).

ونوح عليه السلام، سلك في دعوته لقومه مسلك الرفق واللين، قال تعالى: ﴿ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾[1].

فجميع الأنبياء استلطفوا أقومهم بمناداتهم "يا قوم" ، على الرغم مما كانوا عليه من الكفر والشرك بالله إلا أنهم رفقوا بهم، وألانوا لهم القول والفعل.

ومن الصور الدالة على ذلك دعوة إبراهيم عليه السلام لأبيه وقومه، فقد كان ينادي أباه بكل رفق ولين وتودد؛ شفقة عليه، ورغبة في توبته ورجوعه للحق، قال تعالى: ﴿ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴾[2]، فعلى الرغم مما كان عليه آزر من شرك بالله وعبادة للأوثان إلا أن إبراهيم عليه السلام استعمل أرق الكلمات، وأسمى العبارات مع والده، فقد بدأ عليه السلام بتصحيح العقيدة، وتوحيد الله تعالى والنهي عن الشرك به، ملتزماً في دعوته بالرفق واللين، مبتعداً عن الغلظة والشدة، على الرغم مما لاقاه من العتو والظلم والعذاب، إلا أنه أبى إلا التخلق بالرفق معهم، والخوف عليهم من العذاب.

وعلى الرغم مما كان عليه الطاغية فرعون من فساد للعقيدة، وكفر بالله وادعاء للربوبية، إلا أن الله عز وجل أمر موسى وهارون عليهما السلام بدعوته باللين في القول، قال تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾[3].

---

(١) سورة نوح (آية: ٣).

(٢) سورة مريم (آية: ٤٢- ٤٥).

(٣) سورة طه (آية: ٤٤).

ولنا في رسول الله ﷺ القدوة الحسنة والمثل الأعلى في رفقه وسماحته مع قومه، فقد دعاهم ونهاهم بكل يسر وسهولة، وتدرج في تعليمهم تعاليم الدين، وكان ﷺ يجيب عن استفساراتهم بلين وسماحة من غير غلظة ولا شدة، فعن أبي واقد الليثي ﷺ، أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى خيبر مر بشجرة للمشركين يقال لها ذات أنواط[1] يعلقون عليها أسلحتهم، فقالوا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال النبي ﷺ: "**سبحان الله، هذا كما قال قوم موسى (اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة)، والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم**"[2]، فلم يغلظ عليهم أو يعنفهم مع أن سؤالهم له يمس العقيدة الإسلامية، لكنه ﷺ اتسم بالرفق معهم وإيصال ما يريد من دون زجر وتعنيف أو تنفير.

فالحرص على هداية الناس يقترن دائماً بالرفق بهم واللين معهم قولاً وعملاً، وهذا ما نهجه الأنبياء والرسل عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم، كما أمر الله سبحانه نبيه محمد ﷺ أن يتخذ من الأنبياء قدوة له في دعوته، قال تعالى: ﴿ **أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ** ﴾[3]، فكان خير المقتدين ﷺ، ونحن من بعده عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

---

(١) الأنواط: الأنواط شجرة بعينها كان الكفار يعلقون بها أسلحتهم، سنن الترمذي (٤/٧٥).

(٢) رواه الترمذي في سننه، كتاب الفتن، باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم (٤/٧٥) رقم (٢١٨٧). وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) سورة الأنعام (آية: ٩٠).

المجال الثاني: الرفق في الدعوة إلى الله في المجال الشرعي:

لقد أقيمت الشريعة الإسلامية على الرفق والرحمة والتيسير على الخلق، يظهر ذلك في مجالات وجوانب عدة منها:

- أن الله عز وجل رحيم رءوف بهم، لم يكلفهم بما لا يطيقون من الأحكام والشرائع، حيث قامت الشريعة على قاعدة "المشقة تجلب التيسير" ، فكل أحكام الشريعة مبنية على هذا المعنى، فحيث تقع المشقة على المكلف وردت الشريعة بالتيسير عليه، قال تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[٢]، "أي مشقة وعسر، بل يسره غاية التيسير، وسهله بغاية السهولة، فأولاً ما أمر وألزم إلا بما هو سهل على النفوس، لا يثقلها ولا يؤودها، ثم إذا عرض بعض الأسباب الموجبة للتخفيف، خفف ما أمر به، إما بإسقاطه، أو إسقاط بعضه"[٣]، وقال ﷺ: "**أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة**"[٤]، فدين الإسلام ذو يسر، فما كان منها سمحاً سهلاً فهو أحب إلى الله[٥].

- أن الله تعالى تدرج بهم في تكليفهم، فقد تعلمنا من رسول الله ﷺ التدرج في تعليم شرائع الدين، فكان ﷺ حريصاً على تعليمهم أمور دينهم وتصحيحها لهم بكل رفق ويسر، تخفيفاً عليهم، وكسباً لود قلوبهم، وأدعى لقبولهم بما استجد عليهم من أحكام وشرائع، ويتضح ذلك جلياً في حديث معاذ بن جبل ﷺ عندما أرسله رسول الله ﷺ لأهل

---

(١) سورة البقرة (آية: ١٨٥).

(٢) سورة الحج (آية: ٧٨).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي (٦٣٦)

(٤) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر (١٢) رقم (٣٩).

(٥) فتح الباري، لابن حجر (٦١/١).

الكتاب، وطلب منه التدرج في تعاليم الشريعة، حتى يكون لها القبول والرضا منهم، فعن معاذ ﷺ قال: بعثني رسول الله ﷺ فقال: "**إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك، فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**"[(١)].

- مراعاة اختلاف مداركهم وأفهامهم، ومراعاة ظروفهم وأعمارهم، فقد أغضب الرسول ﷺ تكليف العباد بما لا يطيقونه من العبادة وأمر بالتخفيف عليهم، فعن أبي مسعود الأنصاري ﷺ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنا، فما رأيت النبي ﷺ غضب في موعظة قط أشد مما غضب يومئذٍ، فقال: "**يا أيها الناس، إن منكم منفرين، فأيكم أمّ الناس فليوجز، فإن من ورائه الكبير والضعيف وذا الحاجة**"[(٢)]، و"على الجملة السُّنَّة التخفيف كما أمر به النبي ﷺ للعلة التي بيّنها، وإنما طول في بعض الأوقات لتحققه انتفاء العلة، فإن تحقق أحد انتفاء العلة طول"[(٣)]، ولهذا غضب الرسول ﷺ وأنكر على الإمام مخالفته لسنة التيسر بأمته وإطالة الصلاة بهم، مما يستدعي تنفيرهم من الدين الإسلامي، وهذا من رفقه وشفقته ﷺ بأمته.

غير أن رفق الداعية مع المدعو لا يكون فيه تجاوز لحد من حدود الله تعالى، أو تهاون في إقامة الأحكام والحدود، فعن عائشة ﷺ أن قريشا أهمتهم المرأة المخزومية التى سرقت فقالوا

---

(١) سبق تخريجه (ص ٧٦).

(٢) رواه البخاري، كتاب الأحكام، باب هل يقضي الحاكم أو يفتي وهو غضبان (١٥٠٠) رقم (٧١٥٩). ومسلم، كتاب الصلاة، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة (٢٨٥/١) رقم (٤٦٦).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (٢٠١/٢).

من يكلم رسول الله ﷺ ومن يجترئ عليه إلا أسامة حب رسول الله ﷺ، فكلم رسول الله ﷺ فقال: « **أتشفع فى حد من حدود الله** » ثم قام فخطب، قال: « **يا أيها الناس إنما ضل من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها**»[1]

(١) رواه البخاري، كتاب الحدود، باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان، رقم (٦٤٠٦).

المجال الثالث: الرفق في الدعوة إلى الله في مجال الأخلاق والسلوك:

إن السلوك والأخلاق الحسنة صورة صادقة لحقيقة الإيمان الذي وقر في القلب، قال ابن المبارك: سمعت حبيب بن حجر يقول: "كان يقال: ما أحسنَ الإيمانَ يُزينُه العلمُ، وما أحسنَ العلمَ يُزينُه العملُ، وما أحسن العملَ يزينه الرفقُ، وما أضيف شيءٌ إلى شيءٍ، مثل حلمٍ إلى علمٍ"[(١)]، فما أجمل الخُلُق يزينه الرفق واللين، وما أعظم نتائج ذلك السلوك الحسن على الأمة الإسلامية، وما يعقبها من تآلف ومحبة، وتأسيس قوي في بنائها، فعن أنس ابن مالك ﷺ قال: ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه – قال – فجاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا، فإن محمداً يعطي عطاء لا يخشى الفاقة[(٢)].

فحسن معاملة رسول الله ﷺ لهذا الرجل، وحسن خلقه معه، وترفقه ﷺ به؛ جعله يقبل على الإسلام هو وقومه، فما كان تصرف رسول الله ﷺ معه إلا طمعاً في محبته وإيمانه بالله تعالى، من خلال كسب القلوب بالخلق الحسن، والمعاملة اللطيفة.

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ، وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة – قال أنسﷺ فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ وقد أثّرت فيها حاشية الرداء من شدة جبذته – ثم قال: يا محمد، مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء[(٣)].

---

(١) إحياء علوم الدين، للغزالي (١٨٦/٣).

(٢) رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال: لا (١٤٤٠/٤) رقم (٢٣١٢).

(٣) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب التبسم والضحك (١٢٩٣) رقم (٦٠٨٨). ومسلم، باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة (٤٤٤/٦) رقم (٢٤٧٦).

لقد جذب الأعرابي رداء الرسول ﷺ جذبة أثرت فيه، ونادى رسول الله ﷺ باسمه، والله سبحانه يقول: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾[1]، ولم يكتفِ بذلك بل طلب المال بفظاظة وسوء خلق، فما صدر من الأعرابي من سوء أدب في القول، وغلاظة في الفعل في موقف واحد؛ لم يثنِ رسول الله ﷺ عن حسن خلقه وكريم صفاته، فقد التفت ﷺ للأعرابي مبتسماً، وأمر له بعطاء.

وقد كان للرسول ﷺ رحمة خاصة بالنساء، فلم ينسَ الحث على الرفق بهن، فعن أنس ابن مالك ﷺ قال: كان للنبي ﷺ حادٍ يقال له أنجشة، وكان حسن الصوت، فقال له النبي ﷺ: "**رويدك يا أنجشة، لا تكسر القوارير**"، قال قتادة يعني ضعفة النساء[2]، ذكر النووي-رحمه الله- قولان: " أن معناه أن أنجشة كان حسن الصوت وكان يحدو بهن، وينشد شيئاً من القريض والرجز، وما فيه تشبيب، فلم يأمن أن يفتنهن، ويقع في قلوبهن حداؤه، فأمره بالكف عن ذلك، قال القاضي-رحمه الله-: هذا أشبه بمقصوده ﷺ، والقول الثاني أن المراد به الرفق في السير؛ لأن الإبل إذا سمعت الحداء أسرعت في المشي واستلذته، فأزعجت الراكب، فنهاه عن ذلك؛ لأن النساء يضعفن عند شدة الحركة، ويخاف ضررهن وسقوطهن، وفي كلا القولين؛ معناه الأمر بالرفق بهن؛ أي: ارفق في سوقك بالقوارير، وسق سوقاً رويداً، وارفق في السير"[3].

فهذه طريقته ﷺ قدوتنا المثلى والمعين الأوفى لكل داعية يسعى لنشر الدين الإسلامي بصورته الحقيقة، والسير على نهجه عليه الصلاة والسلام.

---

(١) سورة النور (آية: ٦٣).

(٢) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب المعاريض مندوحة عن الكذب (١٣١٦)، رقم (٦٢١١). ومسلم، كتاب الفضائل، باب رحمة النبي ﷺ للنساء (١٤٤٥/٤) رقم (٢٣٢٣).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (٣٠/٨).

وقد يضطر الداعية إلى الله بأن يعدل من الرفق والليّن إلى الشدّة والغلاظة؛ وذلك عند مواجهته لأصناف من المدعوين أتصفوا بالكبر أو العناد والتطاول من غير حق أو السعي لتشويه أخلاق الإسلام وتحريف سلوكياته، فعن أياس بن سلمة بن الأكوع أن أباه حدثه أن رجلا أكل عند رسول الله ﷺ، بشماله فقال: «كل بيمينك»، قال لا أستطيع قال: « لا استطعت »، ما منعه إلا الكبر، قال فما رفعها إلى فيه[1]، فما دعا عليه رسول الله ﷺ إلا لكبره.

(١) رواه مسلم، كتاب الآداب والصلة، باب آداب الطعام والشراب وأحكمهما (١٢٧٢/٣) رقم(٢٠٢١).

الفصل الثالث

نتائج الرفق في مجال الدعوة إلى الله تعالى

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: نتائج التحلي بالرفق على الداعي.

المبحث الثاني: نتائج التحلي بالرفق على المدعو.

المبحث الأول: نتائج التحلي بالرفق على الداعي

كان رسول الله ﷺ سالكاً في دعوته منهج الرفق واللين، داعياً إليه، فكان ﷺ يحفز الراغب، ويشفق على الجاهل، ويعفو عن العاصي، ويتدرج مع المبتدئ بكل لطف وسماحة خلق ورفق، فلا يعرض عمن أعرض؛ بل يدعو له ويحزن لصده، كان ﷺ رفيقاً بهم ليناً معهم، وقد أثمر هذا الخلق في كسب قلوبهم، وميل نفوسهم، فتعددت نتائج التحلي بهذا الخلق على الداعية والمدعو، وعظم الأجر لهما في الدارين، فعن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: "**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً**"[(١)]، فمن دعا لهدى برفق ولين وسماحة، فقد نال الأجر العظيم، والثواب الجزيل من الله تعالى، وساهم بهداية المدعو، واتباعه لطريق الحق.

فالمدعو بحاجة إلى نموذج صالح يتأثر ويتأسى به، ثم يسير على دربه، "فالاستجابة والانقياد والإذعان من المأمور والمنهي لا تكاد تتخلف، إذا قارن الرفق الأمر والنهي والدعوة إلى الله"[(٢)]، فالداعية إلى الله متى ما تحلى بالرفق، والتزم به؛ نتج عنه أمور عديدة تعود عليه بالنفع في الدنيا والآخرة، أذكر منها ما يلي:

١- محبة الله سبحانه وتعالى:

إن محبة الله تعالى للداعية ورضاه عليه؛ من أهم النتائج وأجلها وأعظمها، فلقد وصف- سبحانه- نفسه بالرفق، فمن اتصف بصفة الرحمن أحبه الرحمن، وأعطاه على رفقه

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة (١٧/٢٥٠) رقم (٦٩٨٠).

(٢) كتاب القول البيّن الأظهر في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لعبدالعزيز الراجحي (ص ٧٧).

ما لا يعطيه على غيره، فعن عائشة ﵂ أن النبي ﷺ قال: (**يا عائشة، إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه**)[١]، فهنا دلالة واضحة على صفته سبحانه، ومحبته لمن تحلى بهذه الصفة، وأن الله تعالى سيعطيه عطاءً لم يعطه على ما سواه، قال الحسن: لين القول، من الأدب الحسن الجميل والخلق الكريم، وهو مما ارتضاه الله وأحبه[٢].

٢- التخلق بخلق نبي الرحمة محمد ﷺ:

لقد كان ﷺ رفيقاً ليناً، سهلاً مع أصحابه وأمته، جمع الناس حوله بكريم خلقه، وسعة حلمه، وجميل رفقه، وكان لرفقه ﷺ ولينه معهم الأثر الكبير في دخول غالبيتهم للإسلام، قال تعالى: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ** ﴾[٣].

وعن عبدالله بن عمرو ﵁ قال: لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً، وكان ﷺ يقول: "**إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً**"[٤]، فكان ﷺ إذا أمر بمعروف، أو نهى عن فعل، أو أنكر منكراً، أن يتلطف في تعليمه، فهو يُقرب لا ينفر، ويحبب ولا يبغض، وييسر ولا يعسر، فقد ورد عن عائشة ﵂ أن النبي ﷺ قال لها عندما كان يخير زوجاته: "**لا تسألني**

---

(١) سبق تخريجه (ص ٣١).

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري (٢/٢٩٦).

(٣) سورة آل عمران (آية: ١٥٩).

(٤) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ (٧٣٠) رقم(٣٥٥٩).

امرأة منهن إلا أخبرتها، إن الله لم يبعثني معنتاً ولا متعنتاً، ولكن بعثني معلماً ميسراً"[١].

٣- الامتثال لأمر الرسول ﷺ عند الدعوة إلى الله:

لقد أمر النبي ﷺ أهله وأصحابه بالرفق واللين مع الناس، ونهاهم عن العنف والفحش حتى وإن واجهوا إساءة أو أذى من الآخرين؛ ولذلك أمر أم المؤمنين عائشة ﵂ بالتحلي بالرفق مع اليهود على الرغم من إساءتهم، فعن عائشة ﵂، أن يهود أتوا النبي ﷺ فقالوا: السام عليكم، فقالت عائشة: السام عليكم، ولعنكم الله، وغضب الله عليكم، قال ﷺ: "**مهلا يا عائشة، عليك بالرفق، وإياك والعنف والفحش**"، قالت: أولم تسمع ما قالوا؟! قال: "**أولم تسمعي ما قلتُ، رددت عليهم، فيستجاب لي فيهم، ولا يستجاب لهم في**"[٢].

وكان من عادته ﷺ أن يوصي دعاته ورسله إلى الأقطار الأخرى بالرفق مع المدعوين وتيسير الأمور لهم، والبعد عن التعسير عليهم، وعدم تكليفهم بما لا يطيقون، فعن أنس ﵁ عن النبي ﷺ قال: "**يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا**"[٣]، قال ابن حجر: "في هذا الحديث الأمر بالتيسير في الأمور والرفق بالرعية وتحبيب الإيمان إليهم وترك الشدة لئلا تنفر قلوبهم ولا سيما فيمن كان قريب العهد بالإسلام....، وكذلك الإنسان في تدريب نفسه على العمل إذا صدقت إرادته لا يشدد عليها بل يأخذها بالتدريج والتيسير"[٤].

---

(١) رواه مسلم، كتاب الطلاق، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية (٢/٨٩٤) رقم (١٤٧٨).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً (١٢٨٢)رقم(٦٠٣٠).

(٣) سبق تخريجه (ص ٣٩).

(٤) فتح الباري، لابن حجر (٢٠/٢٠٢).

فمن سلك هذا الطريق في الدعوة إلى الله تعالى كسب قلوب المدعوين بجميل خُلقه، وكريم صفاته، واقتدى بنبيه ممتثلاً أمره ﷺ، فعن عبدالرحمن بن عمرو السلمي أنه سمع العرباض بن سارية ﷺ قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، قلنا: يا رسول الله، إن هذه لموعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ قال: "**قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، ومن يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، وعليكم بالطاعة وإن عبداً حبشياً عضوا عليها بالنواجذ**[١]، **فإنما المؤمن كالجمل الأنف**[٢]، **حيثما انقيد انقاد**"[٣]، فلم يمت ﷺ إلا وقد أكمل دينه، وبيَّن سنته، وأوضح سياسته ونهجه في الدعوة إلى الله تعالى.

٤- اكتساب خلق حسن:

ورد في جملة من الأحاديث ثناء النبي ﷺ على هذا الخلق العظيم، والتحلي به، فهي صفة مميزة للداعية الناجح، وخلق يقربنا من النبي ﷺ في الجنة، والتعامل به يربي المسلم على اكتسابه مصاحباً معه السماحة واللين والصبر، ومحبة الخير للغير.

وهو من الخصال التي يحبها الله ورسوله، وقد قال ﷺ لأشج عبدالقيس ﷺ:"**إن فيك خلتين يحبهما الله؛ الحلم والأناة**"[٤].

---

(١) النواجذ: جمع ناجذ وهو أقصى الأضراس. مسند الإمام أحمد (١٢٦/٤).

(٢) الأنف: الذي جعل الزمام في أنفه. مسند الإمام أحمد (١٢٦/٤).

(٣) مسند الإمام أحمد، (١٢٦/٤). وصححه الألباني في صحيح الجامع.

(٤) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله (٥٤/١) رقم (١٧).

وقد ذكر ابن القيم- رحمه الله- في ثنائه على الرفق: "إذا انحرفت عن خلق الأناة والرفق انحرفت: إما إلى عجلة وطيش وعنف، وإما إلى تفريط وإضاعة، والرفق والأناة بينهما"(١).

"فالرفق في الدعوة، خلق إسلامي كريم، أمر الله به في آيات كريمات، كما أمر به رسوله ﷺ، إذا كانت ملاطفة من يرجى إسلامه خلقاً كريماً دعا إليه الإسلام، فكيف بالمسلم الذي شهد أن لا إله إلا الله وأن محمد ﷺ رسول الله، أليس هو أحق بالرفق من الكافر، فطبيعة هذا الدين قائمة على الرفق واللّين"(٢).

وقد تقدم معنا بسط الكلام عن أهمية خلق الرفق ومنزلته في أهمية الرفق(٣).

٥- زيادة الخير في شؤون الداعية الخاصة والعامة:

ينال الداعية الخير الكثير في الدنيا والآخرة، ويفتح الله عليه في جميع أموره لتحليه بالرفق، فعن عائشة ﵂ أن النبي ﷺ قال لها: "**من أُعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من الخير، ومن حُرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير**"(٤)، وقد وردت جملة من الأحاديث تؤكد ملازمة الخيرية للمترفق في جميع أموره، نذكر منها ما روى عن جرير ﵁ عن النبي ﷺ قال: "**من يحرم الرفق يحرم الخير**"(٥).

---

(١) مدارج السالكين، لابن القيم (٢/٣١٠).

(٢) فقه الدعوة والداعية، لإبراهيم النعمة (ص ٨٩).

(٣) تقدم ذكرها في مبحث أهمية الرفق (ص ٣٦).

(٤) رواه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الرفق (٣/٤٠٨) رقم (٢٠٢٠)، وقال:حديث حسن صحيح.

(٥) سبق تخريجه (ص ٣٢).

٦- ثواب التحلي بالرفق في الدنيا والآخرة:

يعطي الله - سبحانه وتعالى- للمتخلق بالرفق ثواباً عظيماً وعطاءً جزيلاً، والمنافع الكثيرة في الدارين، "إذ بالرفق تنال المطالب الأخروية والدنيوية، وبفوته يفوتان"[١]، فعن عائشة ﵂ أن رسول الله ﷺ قال: "**يا عائشة، إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه**"[٢]، وقال القاضي: معناه يتأتى به من الأغراض، ويسهل من المطالب ما لا يتأتى بغيره[٣].

- أن الرفق زينة الأمور، ومتى ما نزع الرفق منها نزعت هذه الزينة، قال ﷺ: "**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه**"[٤].

- من تخلق بالرفق حرمه الله- عز وجل- عن النار، وفاز برضا الرحمن، وفي الآخرة بالجنان، فعن عبدالله بن مسعود ﵁ قال: قال: رسول الله ﷺ: "**ألا أخبركم بمن يحرم على النار أو بمن تحرم عليه النار؛ على كل قريب هين لين سهل**"[٥].

قال عمر بن عبدالعزيز ﵀: "إنَّ من أحبِّ الأعمال إلى الله: العفو عند المقدرة، وتسكين الغضبِ عند الحدَّةِ، والرفقَ بعبادِ الله، وما رفقَ عبدٌ بعبدٍ في الدنيا إلا رفقَ الله به يومَ القيامة"[٦].

---

(١) انظر: فيض القدير، للمناوي (٨٤٨٢)، (٩٧/٦).

(٢) سبق تخريجه (ص ٣١).

(٣) شرح النووي على مسلم (١٤٦/١٦) رقم (٢٥٩٣).

(٤) سبق تخريجه (ص٣٢).

(٥) رواه الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب تحرم النار على كل هين لين (٢٢٠/٤) رقم (٢٤٩٦) قال الترمذي: حسن غريب.

(٦) شعب الإيمان، للبيهقي، ح: محمد السعيد (٣١٨/٦).

- دعا نبينا محمد ﷺ لكل من رفق بأمته، فعن عائشة ﷺ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به**"(١)، فمن تخلق من الدعاة بخلق الرفق شمله دعاء النبي ﷺ، ونال شرف هذه الدعوة.

فهذه بعض الفضائل العظيمة للمترفق، نال بها خلقاً عظيماً، وكسب معها رضا الله – سبحانه– والثواب الجزيل في الدنيا والآخرة.

٧– محبة المدعوين وكسب قلوبهم:

الداعية المترفق يأسر قلب المدعو، فيثمر ذلك سرعة تجاوبه وانجذابه بقناعة ورضا، وإقبال على الحق، فالنفوس تنقاد لمن تحب، أما العنف والشدة فتولد النفور والبعد عن الداعي والإعراض عما جاء به، ورد في الحث على التحلي بالرفق: "التزم الرفق في القول، مجتنباً الكلمة الجافية، فإن الخطاب اللين يتألف النفوس الناشزة"(٢).

وهذا ما لمسناه في سيرته ﷺ من انجذاب أصحابه إليه، والتفافهم حوله ومحبتهم له، فقد ورد في حديث معاوية بن الحكم السلمي ﷺ الذي تكلم أثناء الصلاة جهلاً منه، فنهره الصحابة، قال معاوية ﷺ: "فلما صلى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني"(٣)، فلولا رفق رسول الله ﷺ به، ولينه معه، وسماحته في تعليمه وتوجيهه، لما تقبل النصح وأطاع، ولما أثنى على النبي ﷺ.

---

(١) سبق تخريجه (ص٣٣).

(٢) المجموعة العلمية (ص ١٥٢).

(٣) سبق تخريجه (ص٦٢)

وذكر هشام بن عروة عن أبيه أنه قال: "لتكن كلمتك طيبة، وليكن وجهك بسيطاً تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم العطاء، وقال مكتوب في الحكمة أو في التوراة، الرفق رأس الحكمة، وكما تَرحمون تُرحمون وكما تزرعون تحصدون"[١].

وقد يعلو شأن من تحلى بالرفق، فكلما كان أكثر رفقاً، كان أكثر محبة، وأكثر رقياً في تعامله، بل قد يشهد له بالخير والخلق الحسن، فعن حبة بن جوين قال: كنا عند علي ﷺ فذكرنا بعض قول عبدالله ﷺ، وأثنى القوم عليه، فقالوا: يا أمير المؤمنين، ما رأينا رجلاً كان أحسن خلقاً، ولا أرفق تعليماً، ولا أحسن مجالسة، ولا أشد ورعاً من عبدالله بن مسعود، فقال علي ﷺ: نشدتكم الله، إنه لصدق من قلوبكم؟ قالوا: نعم، فقال: اللهم إني أشهدك، اللهم إني أقول فيه مثل ما قالوا أو أفضل[٢].

يقول الشيخ ابن باز –رحمه الله– : "عليك أن ترفق في دعوتك ولا تشق على الناس، ولا تنفرهم من الدين، ولا تنفرهم بغلظتك ولا بجهلك، ولا بأسلوبك العنيف المؤذي الضار، عليك أن تكون حليماً صبوراً، سلس القيادة لين الكلام طيب الكلام، حتى توثر في قلب أخيك، وحتى توثر في قلب المدعو، وحتى يأنس لدعوتك ويلين لها ويتأثر بها، ويثني عليك بها، ويشكرك عليها، أما العنف فهو منفر لا مقرب، ومفرق لا جامع"[٣].

٨– نشر الدين بأيسر الطرق وأسرعها:

لقد حقق رسول الله ﷺ بكريم خلقه، ورفقه وأناته؛ الأسلوب الصحيح، والوسيلة المناسبة لجذب الناس، حتى وصل للنتيجة العظمى من دعوته، فبلغ الهدف منها بأيسر

---

(١) الزهد، لأحمد بن حنبل (ص ٤٩).

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات (١٥٦/٣).

(٣) مجموع دروس ورسائل في الدعوة إلى الله، لعبدالعزيز بن باز، ومحمد العثيمين، وصالح آل الشيخ (ص ٢٦).

الطرق وأسرعها، فلولا رفقه ﷺ وسماحته مع من حوله، لما أثنى عليه الملوك، واتبعته القبائل، وأمن به الكثير، ولو كان رسول الله ﷺ فظاً غليظاً في تعامله، لكان سبباً لصّدهم وإعراضه عن الدين.

وفي الحكمة: يدرك بالرفق ما لا يدرك بالعنف، ألا ترى أن الماء على لينه يقطع الحجر على شدته، وقال أشجع بن عمرو السلمي لجعفر بن يحيى بن خالد:

ما كـان يدرك بالرجال ولا بالمـال ما أدركت بالرفق[1]

(١) العقد الفريد، لابن عبد ربه، كتاب الياقوتة في العلم والأدب، باب الرفق والأناة (٢٠٢/٢).

المبحث الثاني: نتائج التحلي بالرفق على المدعو.

إن تحلي الداعية بالرفق واللين والتزامه بذلك مع المدعوين، من أهم العوامل التي تساعد على نجاح الدعوة إلى الله تعالى، وتحقيق أهدافها، فيكسب الداعي قلوب العباد فتنقاد له، وتتحقق بها نتائج عديدة، منها:

١ - هداية المدعو عن رضا وقناعة:

إن الالتزام بالرفق في الدعوة إلى الله تعالى سبب أساس لهداية المدعو بقناعة تامة، ورضا كامل، "فبالرفق تساس الطباع، ويعرف مكمن الداء، ويعطى الدواء، لتستقيم الأنفس على الخير، وتقبل دعوة الله عز وجل، ويزول ما في الصدور ما حلّ فيها من عوارض البغض، وأسباب الشحناء، ولا شك أن الدواء لهذا كله بلسم الرفق"(١).

إن الرفق بالمدعو، وتيسير الأمر له، وعدم التشديد عليه؛ له الأثر الكبير على سرعة تقبله للأمر وقناعته به، وتأثره بما يسمعه، فيقبل على الحق بطيب نفس ورضا كامل، ولنا في قصص إسلام الصحابة ﷺ نماذج دالة على ذلك.

٢ - الاقتداء بالداعية:

إن التحلي بالرفق في الدعوة إلى الله يورث محبة الداعية، وزيادة الثقة به، والشعور بالأمان والراحة معه، والرضا بما يدعو له، فيكون سبباً في إسلامه وهدايته للطريق المستقيم، بل قد يتعدى ذلك لينقلب المدعو داعية، وهذا ما لمسناه في حديث الرجل الذي رجع إلى قومه وقد عرف من رفق نبينا محمد ﷺ به، وكرمه معه؛ بأن ما يدعو إليه هو الدين الحق،

(١) الدعوة، لحمد العمار (ص ١٢١).

لهذا فهو لا يخشى الفقر، بل متوكل على الله تعالى في رزقه، "فعن موسى بن أنس عن أبيه ﷺ قال: ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه- قال- فجاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال يا قوم أسلموا، فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة"[(١)]، فلولا كرمه ﷺ وسماحته مع الرجل، لما عاد لقومه داعياً لهم مخبراً إياهم بما وجده من راحة وطمأنينة ومحبة لرسول الله ﷺ ولدينه.

إن للداعية المترفق محبة خاصة في قلوب المدعوين، وراحة تامة لما يسمع منه، فهو قدوتهم ودليلهم للخير، وله الأثر الكبير عليهم، وهذا ما كان عليه صحابة رسول الله ﷺ فعندما أحبوه تقبلوا منه كل قول أو فعل يقوم به، "فعن أنس بن مالك ﷺ **أنه رأى في يد رسول الله ﷺ خاتماً من ورِق يوماً واحداً، ثم إن الناس اصطنعوا الخواتيم من ورق ولبسوها، فطرح رسول الله ﷺ خاتمه، فطرح الناس خواتيمهم**"[(٢)].

٣ - ميل النفس إلى الخير وتحولها عن الشر:

يثمر الرفق والمداراة التجاوب، وتحول النفس للخير وإقبالها عليه، واتباع الحق من دون كلل ولا عناء، فيجعل قلوبهم ميالة للخير، مبتعدةً عن الشر، وهذه النتيجة واضحة في حديث أبي هريرة ﷺ قال بعث النبي ﷺ خيلاً قبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي ﷺ ثلاثة أيام يسأله ما عنده، وكان ﷺ يحسن معاملته ويرفق به في الأسر، فقال ﷺ بعد مضي ثلاثة أيام من

---

(١) سبق تخريجه (ص٨٣).

(٢) رواه البخاري، كتاب اللباس، باب حدثنا عبدالله بن سلمة (١٢٥٦) رقم (٥٨٦٨). ومسلم، كتاب اللباس والزينة، باب في طرح الخواتم (١٣١٩/٣) رقم (٥٩).

أسره وسؤاله: "**أطلقوا ثمامة**" ، فانطلق إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله[١].

ففي الحديث السابق دلالة واضحة على أن الدعوة بالرفق واللين والسماحة تولد تحولاً في نفس المدعو من الشر إلى الخير، فيتجاوب مع الداعية، ويتبع الحق، بطيب نفس ورضا كامل، من دون إكراه أو إلزام.

٤ - التوبة والرجوع إلى الحق:

إن المعاملة الحسنة والتحلي بالأخلاق الكريمة، مع الالتزام بالرفق قولاً وعملاً تساهم في توبة المدعو، واتباعه للحق، وتوثيق صلته بالله تعالى، وزيادة إيمانه، فنجد ذلك جلياً في خبر الشاب الذي جاء يستأذن رسول الله ﷺ بالزنا، فقال له رسول الله ﷺ: "**أتحبه لأمك؟**" ، قال: لا والله، جعلني الله فداك، قال: "**ولا الناس يحبونه لأمهاتهم**" ، قال: "**أفتحبه لابنتك؟**" ، قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك، قال: "**ولا الناس يحبونه لبناتهم**" ، قال: "**أفتحبه لأختك؟**" ، قال: لا والله، جعلني الله فداك، قال: "**ولا الناس يحبونه لأخواتهم**" ، قال: "**أفتحبه لعمتك؟**" ، قال: لا والله، جعلني الله فداك، قال: "**ولا الناس يحبونه لعماتهم**" ، قال: "**أفتحبه لخالتك؟**" ، قال: لا والله، جعلني الله فداك، قال: "**ولا الناس يحبونه لخالاتهم**" ، قال ﷺ: فوضع يده عليه، وقال:"**اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه**"، قال فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء[٢].

فلولا طيب خلق رسول الله ﷺ وسماحته مع من حوله لما تجرأ هذا الشاب واستأذنه بفعل المعصية، ولولا رفقه ﷺ عند تعليمه للشاب، وإيضاح الخطأ له، ولينه في إيصال الحق

---

(١) سبق تخريجه (ص٦٩).

(٢) سبق تخريجه (ص٥٩).

بأيسر الطرق وأفضلها، لما استجاب الشاب بقناعة منه، وتاب مع أول حوار له مع رسول الله ﷺ.

٥ - الرغبة في العلم وعدم التردد في السؤال عما يجهل:

إن شعور المدعو بالراحة التامة مع الداعية المترفق يساهم في طلب الاستزادة من العلم، وعدم التحرج في السؤال والاستفسار، أما الداعية الغليظ الشديد فالناس تنفضّ عنه، ولا تقبل نصحه وإن كان حقاً، فعن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ دخل المسجد، فدخل رجل فصلى فسلم على النبي ﷺ فرد، وقال: "**ارجع فصل، فإنك لم تصلّ**"، فرجع يصلي كما صلى، ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فقال: "**ارجع فصلّ فإنك لم تصلّ**" ثلاثاً، فقال: والذي بعثك بالحق، ما أحسن غيره فعلمني، فقال ﷺ: "**إذا قمت إلى الصلاة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعاً، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً، وافعل ذلك في صلاتك كلها**"(١).

وعن معاوية بن الحكم السلمي ﷺ قال: بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أمياه، ما شأنكم تنظرون إليّ؟! فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني لكني سكت، فلما صلى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني، قال: "**إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن**" ، أو كما قال رسول الله ﷺ، قلت: يا رسول الله، إني حديث عهد بجاهلية، وقد جاء الله بالإسلام وإن منا رجالاً

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأمون (١٥١) رقم (٧٥٧).

يأتون الكهان، قال: "**فلا تأتهم**" ، قال: ومنا رجال يتطيرون، قال: "**ذاك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدنهم**" ، قال ابن الصباح: "فلا يصدنكم" ، قال قلت: ومنا رجال يخطون، قال: "**كان نبي من الأنبياء يخط فمن وافق خطه فذاك**" ، قال: وكانت لي جارية ترعى غنماً لي قبل أحد والجوانية، فاطلعت ذات يوم فإذا الذيب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون، لكني صككتها صكة، فأتيت رسول الله ﷺ فعظّم ذلك علي، قلت: يا رسول الله، أفلا أعتقها؟ قال: "**ائتني بها**" ، فأتيته بها، فقال لها: "**أين الله؟**" ، قالت: في السماء، قال: "**من أنا؟**" ، قالت: أنت رسول الله، قال: "**أعتقها فإنها مؤمنة**"(١).

لقد أثمر رفق رسول الله ﷺ مع الصحابي الجليل عندما بدر منه خطأ، وصححه له بأسلوب لين سمح، فما كان منه ﷺ عندما رأى رفق رسول الله ﷺ به في تعليمه وتصحيح سلوكه، إلا أن طلب الاستزادة من العلم، والتفقه في الدين.

٦ - محبة المدعو للدين الإسلامي بتدرج أحكامه وشرائعه:

أوصل رسول الله ﷺ بفطنة منه ورفق أحكام الدين الإسلامي وشرائعه للناس، من غير تشديد ولا تعسير، فكان ﷺ من رفقه بهم وسماحته معهم لا يكثر عليهم مخافة أن تثقل عليهم تكاليف الدين، حيث إن فرض التكاليف عليهم وعدم التدرج بها قد يكون سبباً لنفورهم وصدهم عن الدين، فعن عبدالله بن مسعود ﷺ أنه قال: "كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام، كراهة السآمة علينا"(٢).

---

(١) سبق تخريجه (ص ٦٣).

(٢) رواه البخاري، كتاب العلم، باب كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة (٢٠) رقم (٦٨). ومسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب الاقتصاد في الموعظة (١٧٢٣/٤) رقم (٢٨٢١).

وذكر ابن حجر في شرحه الحث على التدرج والتيسير عند تعليم الناس، اقتداءً بنبينا محمد ﷺ في ذلك: "وفيه رفق النبي ﷺ بأصحابه وحسن التوصل إلى تعليمهم وتفهيمهم ليأخذوا عنه بنشاط لا عن ضجر ولا ملل، ويُقتدى به في ذلك، فإن التعليم بالتدريج أخف مؤنة وأدعى إلى الثبات من أخذه بالكد والمغالبة"(١)، وذكر في تحفة الأحوذي: "أي مخافة المشقة علينا؛ إذ المقصود بيان رفق النبي ﷺ بالأمة وشفقته عليهم ليأخذوا منه بنشاط وحرص لا عن ضجر وملل.... وفي الحديث الاقتصاد في الموعظة لئلا تملها القلوب فيفوت مقصودها"(٢).

٧ - تنمية روح المنافسة في الخير، وسرعة المبادرة للحق، والإقبال على الطاعة:

لقد كان رسول الله ﷺ يحث أصحابه ﷺ بأسلوب رائع لين، محبباً لهم الخير، محفزاً لهم لا منفراً ولا معسراً، فكان ﷺ يثني عليهم بذكر محاسنهم وما يتميزون به، ثم يذكر ما كان ينقصهم من عبادة أو سلوك، فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال لعبدالله بن عمر ﷺ: "**نعم الرجل عبدالله، لو كان يصلى من الليل**" ، فكان بعدُ لا ينام من الليل إلا قليلاً(٣).

فلولا ثناؤه ﷺ على الصحابي عبدالله بن عمر ﷺ بأسلوب حسن لين، وذكر محاسنه قبل أن يذكر ما كان ينقصه من عبادات؛ لما حرص ﷺ على صلاة الليل، وسعى إلى بلوغ الكمال، ومحبة رسول الله ﷺ وطاعته.

---

(١) فتح الباري، لابن حجر (٢٣١/١١).

(٢) تحفة الأحوذي، للمباركفوري (١٢١/٨).

(٣) رواه البخاري، كتاب التهجد، باب فضل قيام الليل (٢٢١) رقم (١١٢٢). ومسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب من فضائل عبدالله بن عمر ﷺ، (١٥٣١/٤) رقم (٢٤٧٩).

فحشد الهمم بين الصحابة، ورفع روح التنافس بينهم، والثناء عليهم، دون استنقاص وتنفير؛ يدعوهم للتنافس لفعل الطاعات وكسب الخيرات.

٨ - تفريج همّ المدعو:

إن من صور رفقه ﷺ بأصحابه تفريج همهم، وتنفيس كربهم، وعدم التعسير عليهم بالأحكام أو العقوبات إزاء اقترافهم لمعصية جهلاً منهم، أو بارتكابهم لها من غير اختيار، بل كان ﷺ ليناً معهم، رفيقاً رحيماً بهم، يرق قلبه لحال العاصي، فيعينه ويفرج عنه ضيق النفس، وهمّ ارتكاب المعصية، بالتكفير عنها، والتوبة منها، والرجوع لله سبحانه، فلا يثقل عليهم، ولا يقطع أملهم بعفو الله تعالى عنهم، ورحمته بهم، ملتزماً معهم بأحسن الأسلوب، وأطيب المعاملة، من غير تعنيف ولا تشديد.

ولقد تجلى هذا الرفق واضحاً في خبر سلمة بن صخر الأنصاري ﷺ الذي جامع امرأته في نهار رمضان، يقول ﷺ: "فلما أصبحت غدوت على قومي فأخبرتهم خبري، فقلت: انطلقوا معي إلى رسول الله ﷺ فأخبره بأمري، فقالوا: لا والله لا نفعل؛ نتخوف أن ينزل فينا قرآن أو يقول فينا رسول الله ﷺ مقالة يبقى علينا عارها، ولكن اذهب أنت فاصنع ما بدا لك، قال: فخرجت فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته خبري، فقال: "**أنت بذاك؟**" ، قلت: أنا بذاك، قال: "**أنت بذاك؟**" ، قلت: أنا بذاك، قال: "**أنت بذاك؟**" ، قلت: أنا بذاك، وها أنا ذا فأمض فيّ حكم الله فإني صابر لذلك، قال: "**أعتق رقبة**" ، قال: فضربت صفحة عنقي بيدي فقلت: لا والذي بعثك بالحق، ما أصبحت أملك غيرها، قال: "**صم شهرين**" ، قلت: يا رسول الله، وهل أصابني ما أصابني إلا في الصيام، قال: "**فأطعم ستين مسكيناً**" ، قلت: والذي بعثك بالحق، لقد بتنا ليلتنا هذه وحشى، ما لنا عشاء، قال: "**اذهب إلى صاحب صدقة بني زريق فقل له فليدفعها إليك فأطعم عنك منها وسقاً**

ستين مسكيناً ثم استعن بسائره عليك وعلى عيالك" ، قال فرجعت إلى قومي فقلت وجدت عندكم الضيق وسوء الرأي، ووجدت عند رسول الله ﷺ السعة والبركة؛ أمر لي بصدقتكم فادفعوها إليّ، فدفعوها إليّ[1].

(١) سبق تخريجه (ص ٥٩).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وعلى أله وصحبه وسلم، ومن استنّ بسنته، واهتدى بهديه، وبعد:

فأحمد الله تعالى وأشكره أن وفقني لإتمام هذا البحث، الذي انتفعت به كثيراً، وبذلت فيه جهدي، وانتهى بي إلى عدد من النتائج من أهمها:

١- أن معنى الرفق في الدعوة إلى الله يدور حول اللين والتلطف والمدارة مع الآخرين، فهو لين الجانب في القول والعمل، والأخذ بالأيسر والأسهل؛ وذلك لتحقيق الغاية والهدف من الدعوة إلى الله تعالى بأيسر الطرق وأسهلها.

٢- أن للرفق معاني ذات صلة به اختلفت في لفظها، إلا أنها تتقارب في المعنى، وغايتها جميعاً الوصول للهدف بأيسر الطرق وأفضلها.

٣- بيّن هذا البحث الأدلة من الكتاب والسنّة على أهمية الرفق في الحياة، ومشروعية التحلي به في جميع الأمور وخصوصاً في الدعوة إلى الله تعالى، وما يجنيه هذا الخلق من نتائج عظيمة، كما أن هديه ﷺ في سيرته العطرة دليل على ذلك.

٤- أن الرفق سلوك حسن، وخلق عظيم، أكرم الله تعالى به بعضاً من عباده، فمنهم من أكرمه الله ووهبه هذا الخلق؛ فكان من فطرته متخلقاً به، ومنهم من يجاهد نفسه لاكتسابه والتحلي به.

٥- كشف هذا البحث عن تعدد مجالات الرفق في الدعوة إلى الله تعالى وتنوعها، فمنها في مجال العقيدة، ومنها في مجال الشريعة، وآخر في مجال الأخلاق والسلوك.

٦- أهمية الرفق خصوصاً في مجال الدعوة؛ إذ إنه الأسلوب الأفضل في الدعوة إلى الله، فهو خلق مقرب محبب، لا منفر مشدد، فالنفس مجبولة على حب من أحسن إليها، فهي تميل إلى من يلطف بها ويرفق، فإن انتهج الدعاة الرفق والسماحة، والتدرج في دعوتهم، انجذب الناس إلى الدعوة؛ فحصلت الهداية، وانتشر الدين، فهي معتمدة على تعامل الداعية مع المدعوين وسماحة أخلاقه.

٧- أن نبينا وقدوتنا محمداً ﷺ تحلى بهذا الخلق مع أصحابه وأعدائه، وقد أمرنا وحثنا على التخلق به في أمور شتّى، وحرص ﷺ على تطبيقه في الدعوة إلى الله.

٨- أن الرفق من لوازم الدعوة، فعلى الداعي أن يتحلى بالرفق ويتخلق به بعد التسلح بالعلم، واتخاذ هذا الخلق سبيلاً له لإيصال ما يصبو إليه، ملتزماً بالتيسير مبتعداً عن التعسير.

٩- أن من أهم ما يساهم في تحقيق ما يسعى إليه الداعية الإخلاص لله تعالى ومعاملة الناس بالرفق واللين، مع مقابلة إساءتهم أو جهلهم بالعفو والتجاوز، كما تعلمنا من رسول الله ﷺ في سيرته العطرة.

١٠- أن التدرج في الدعوة إلى الله تعالى يعد من الرفق بالناس، ويساهم في الثبات على الدين، والإيمان الراسخ.

١١- معرفة المدعوين للدين الإسلامي الصحيح وأنه قائم على السماحة والرفق، ليس ظالماً ولا عنيفاً، والدخول فيه بمحض الإرادة والرغبة، لا الإكراه والشدة.

١٢- النتائج العظيمة من تحلي الداعية بالرفق في دعوته إلى الله، والتي تعود عليه بمصالح دنيوية وآخروية، وردت مفصلة في ثنايا البحث.

وختاماً أسال الله الكريم رب العرش العظيم أن يعز الإسلام والمسلمين، وأن ينصر الدعاة ويؤلف بينهم، ويوفقهم للدعوة بالرفق واللين، ويرزقنا وإياهم الإخلاص في العمل، ويجعلنا ممن يخدم الدعوة، هذا والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

الـفـهـــارس

فهرس الآيات.

فهرس الآحاديث.

فهرس المراجع.

فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات

الآيـــــــــات	رقم الآية	الـصـفـحـة
سورة البقرة		
﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾	٤٤	٥٠
﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾	٨٣	٣٠ ، ٦٥
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾	١٤٣	٥٧
﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾	١٨٥	٨٢
﴿ حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾	٢٣٨	٦٢
﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾	٢٨٦	٥٢
سورة آل عمران		
﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾	٦٤	٧٤
﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾	١٥٩	٢، ١٧، ٢٨، ٣٨، ٤٠، ٩٠
﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾	١٠٣	١
النساء		
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾	١	١
﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ	١٧	٦١

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾		
﴿ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾	٦٩	١٢
سورة المائدة		
﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ ﴾	٦	٥٠
﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾	٧٧	٧٤
سورة الأعراف		
﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾	١٥٧	٢٥
﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ	٦٥	٧٩
سورة التوبة		
﴿ وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ ﴾	٦	٦٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾	٧٣	٦٦
﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾	١٢٨	٢٩، ٣٨، ٥٧
سورة هود		
﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم	٦١	٧٩

﴿ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ﴾		
﴿ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۚ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ﴾	٨٤	٧٩
سورة يوسف		
﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾	١٠٨	٥٦ ،٤٨
سورة إبراهيم		
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾	٤	٥٦
سورة الحجر		
﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾	٨٨	٢٧
سورة النحل		
﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾	٣٦	٧٨
﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾	٨٢	٥٦
﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾	١٢٥	٢٩ ، ٢
سورة الإسراء		
﴿ قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا ﴾	١٠٢	٧٣
سورة الكهف		
﴿ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ﴾	١٦	١٢

سورة مريم		
﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴾	٤١، ٤٥	٢٧، ٧٩
سورة طه		
﴿ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾	٤٣، ٤٤	٢٦، ٣٧، ٧٣، ٨١
سورة الأنبياء		
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾	٢٥	٧٨
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾	١٠٧	٦٨
سورة الحج		
﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ ﴾	٧٨	٨٢
سورة النور		
﴿ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ ﴾	٢	٢٢
﴿ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗا ﴾	٦٣	٨٦
سورة الشعراء		
﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾	٢١٥	٢٨
سورة القصص		
﴿ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾	٤	٧٢

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ﴾	٣٨	٧٣
﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾	٥٦	٥٦
سورة العنكبوت		
﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾	٤٦	٢، ٧٥
سورة الأحزاب		
﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾	٧٠- ٧١	١
سورة الزمر		
﴿ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾	٢٣	١٨
سورة الشورى		
﴿ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ ﴾	١٩	٢١
الزخرف		
﴿ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾	٥٢	٧٣
سورة نوح		
﴿ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾	٣	٨٠
سورة النازعات		
﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾	٢٤	٧٣
سورة البلد		
﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴾	١٧	١٦

فهرس الأحاديث

طرف الحديث	الصفحة
" اتقى الله واصبري "	٦١
" أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة "	٨٢
" أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة....."	٣٨
"ادنه"، فدنا منه قريبا، قال فجلس ....."	٥٩ ، ١٠٠
"أرجع فأحسن وضوءك"	٦٢
"أرجع فصل، فإنك لم تصل"	١٠١
"أرجع إلى قومك فادعهم وأرفق بهم"	٣٩
"أسلم"....."الحمد لله الذي أنقذه من النار"	٧٥
"ألا أخبركم بمن يحرم على النار....."	٩٤
"اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون"	٦٩
"اللهم من ولى من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم....."	٣٣، ٤٢، ٩٥
"ألم أخبر أنك تقوم الليل وتصوم النهار"	٥٢
"إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه....."	٤٩
"إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه"	٣٢، ٤٠، ٩٤
"إن الله خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة.....	٤٥

"إن الله رفيق يحب أهل الرفق، وإن الله يعطي على الرفق....."	٣٨
"أنت بذاك؟"	٥٩ ، ١٠٥
"أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله....."	٥٥
"انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها امرأة من المشركين....."	٤٤، ٨٨
"إن فيك خلتين يحبهما الله؛ الحلم والأناة"	٤٤، ٩٢
"إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة....."	٧٦، ٨٣
"إن من خياركم أحسنكم أخلاقا"	٩١
"إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق"	٤٨
"إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس....."	٦٣، ١٠٣
"أنه رأى في يد رسول الله ﷺ خاتماً من ورق يوماً....."	١٠٠
"إني لم أبعث لعاناً وإنما بعثت رحمة"	٦٩
"أين المتألي على الله لا يفعل المعروف"	٤٦
"جعل الله الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً"	٤٥
"حرم على النار كل هين لين سهل قريب من الناس"	٩٥
"خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، والله ما قال لي أفا قط...."	٣٨
"دعوه، وأهريقوا على بوله ذنوباً من ماء....."	٦٣
"رويدك يا أنجشة، لا تكسر القوارير"	٨٦

"سبحان الله هذا كما قال قوم موسى....."	٨١
"قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها....."	٩٢
كنت أمشى مع رسول الله ﷺ، وعليه برد نجراني.....	٨٥
"لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها....."	٩١
"لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة"	٦٩
ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه.....	٩٩
"ما عندك يا ثمامة"	٧٠
"ما هذا الحبل"	٥٣
"من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من الخير....."	٩٣
"من دعا إلى هدى كان له من الأجر....."	٨٩
"من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة....."	٧٦
"من يحرم الرفق يحرم الخير"	٣٢، ٩٣
"من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما العلم بالتعلم"	٤٥
"مه، عليكم بما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا"	٥٣
"مهلاً يا عائشة، عليك بالرفق، وإياك والعنف والفحش"	٩١
"نعم الرجل عبدالله، لو كان يصلى من الليل"	١٠٣
"هلك المتنطعون"	٥٤
"وارفق بهم"	٣٩

"يا أبا أمامة، إن من المؤمنين من يلين لي قلبه"	٣٤
"يا أيها الناس تعلموا، إنما العلم بالتعلم....."	٤٥
"يا أيها الناس إن منكم منفرين فأيكم أم الناس فليوجز....."	٨٣
"يا عائشة ارفقي، فإن الله إذا أراد بأهل بيت خيراً دلهم على باب الرفق"	٣٤
"يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله"	٣٣، ٣٩
"يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق ويعطى على الرفق ما لا يعطى....."	٣١، ٩٠، ٩٤
"يا عبدالله ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل"	٥٢
"يسروا ولا تعسروا، وبشِّروا ولا تنفروا"	٣٩، ٩١

فهرس المصادر والمراجع

	أولاً	القرآن الكريم
١	أ	الأبحاث العلمية للمؤتمر الدولي (نبي الرحمة محمد ﷺ)، معالم الرحمة في حقوق المرأة في الإسلام، أحلام مطالقة، الرياض، د ط، ١٤٣١هـ.
٢		إحياء علوم الدين، محمد بن محمد أبو حامد الغزالي، دار المعرفة، بيروت، د.ت. د.ط.
٣		الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن الميداني، دار العلم،بيروت، الطبعة الأولى،١٣٩٩هـ
٤		الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين، عبدالرحمن السعدي، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٢هـ.
٥		أساس البلاغة، للزمخشري، ح: محمود شاكر، القاهرة، مطابع المدني، ١٩٩١م.
٦		الاستقامة، ابن تيمية، القاهرة، ابن تيمية، الطبعة الثانية، د.ت.
٧		الاستقامة، ابن تيمية، ت: محمد سالم، الناشر جامعة الإمام، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ.
٨		الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية دراسة تأصيلية على ضوء الواقع المعاصر، عبدالرحيم المغذوي، دار الحضارة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.
٩		أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.
١٠		الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ابن تيمية، الرياض، وزارة الشؤون الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
١١		أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٧هـ. د.ط.
١٢	ب	البحث العلمي، د.عبدالوهاب أبو سليمان، دار الشروق، جدة، الطبعة الرابعة ١٤١٢هـ.
١٣		البداية والنهاية، أبو الفدا الحافظ ابن كثير الدمشقي، دار الريان، القاهرة، الأولى، ١٤٠٨هـ.
١٤		بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ت: عبدالعليم الطحاوي، المكتبة العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.
١٥	ت	التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس، د.ط، د.ت.
١٦		تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ

١٧		تفسير أبي السعود، أبو السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط،د.ت.
١٨		تفسير أسماء الله الحسنى، السعدي، ح: عبيد العبيد، الجامعة الإسلامية، المدينة، العدد (١١٢)،١٤٢١هـ.
١٩		تفسير الرازي، مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
٢٠		تفسير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
٢١		تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، بيروت، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.
٢٢		تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، أبو عبدالله القرطبي، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.
٢٣		تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، الرياض، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.
٢٤		التيسير بشرح الجامع الصغير، الإمام الحافظ زين الدين عبدالرؤوف المناوي، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.
٢٥	ج	جامع العلوم والحكم، ابن رجب، ح: ماهر الفحل، دار طويق، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.
٢٦		جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن دريد، ح: رمزي بعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
٢٧	د	الدعوة، حمد العمار، الرياض، دار كنوز أشبيليا، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.
٢٨		دلالة الأسماء الحسنى على التنزيه، لعيسى السعدي، نسخة إلكترونية.
٢٩		دلائل النبوبة،أبوبكر البيهقي، ح: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
٣٠		الرفق في السنّة النبوية، حسن محمد عبه جي، النشر العلمي والمطابع، الرياض، الطبعة الأولى،١٤٢٩هـ.

٣١		الروح، ابن القيم، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٩٥هـ، د.ط.
٣٢	ز	زاد الداعية، للشيخ محمد بن عثيمين، دار الوطن، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ.
٣٣		زاد المسير، لأبي الفرج جمال الدين الجوزي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
٣٤		الزهد، ابن مبارك، ت: حبيب الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت. د.ت، د.ط.
٣٥		الزهد، أحمد ابن حنبل، ح: عبدالعلي حامد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ.
٣٦	س	سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ٢٠٠٤م.
٣٧		سنن الترمذي، محمد أبو عيسى الترمذي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ.
٣٨		سِيَر أعلام النبلاء، شمس الدين محمد الذهبي، دار الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة،١٤١٢هـ.
٣٩	ش	شرح أسماء الله الحسنى، الرازي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٧٦م، د.ت.
٤٠		شرح النووي على صحيح مسلم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
٤١		شرح زاد المستقنع، للشنقيطي، نسخة إلكترونية.
٤٢		شعب الإيمان، للبيهقي، ح: محمد السعيد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
٤٣	ص	صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار السلام، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
٤٤		صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
٤٥		صفات الداعية، الرفق واللين، فضل إلهي، الطبعة السابعة، ١٤٢٠هـ.
٤٦		صيد الخاطر، أبو فرج الجوزي، بيروت، المكتبة العلمية، د.ت، د.ط.
٤٧	ط	الطبقات الكبرى، محمد بن سعد الزهري.ت: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م.
٤٨	ع	العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.
٤٩		عون المعبود، العظيم آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

٥٠	ف	فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار الريان، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ .
٥١		الفتح الرباني، أحمد البنا، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت، د.ط.
٥٢		فتح القدير، الشوكاني، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ.
٥٣		فقه الدعوة في إنكار المنكر، عبدالحميد البلالي.
٥٤		فقه الدعوة والداعية، إبراهيم النعمة، دار الفرقان، عمان، د.ت، د.ط.
٥٥		في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، الطبعة الثالثة عشر، ١٤٠٧هـ.
٥٦		فيض القدير شرح الجامع الصحيح، زين الدين محمد المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ.
٥٧	ق	القاموس المحيط، الفيروزآبادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.
٥٨	ك	الكليات في معجم المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكفومي، ح: عدنان درويش، محمد المصري، دمشق، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٩٨م.
٥٩	ل	لسان العرب، ابن منظور، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.
٦٠		البحث العلمي، د.عبدالوهاب أبو سليمان، دار الشروق، جدة، الطبعة الرابعة، ١٤١٢هـ.
٦١	م	مبدأ الرفق في التعامل مع المتعلمين من منظور التربية الإسلامية، صالح بن سليمان البقعاوي، بحث مكمل لنيل درجة الماجستير، جامعة أم القرى،كلية التربية، قسم التربية،١٤٢٠هـ.
٦٢		المجالسة وجواهر العلم، أبو بكر المالكي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
٦٣		مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين الهيثمي، مكتبة القدسي، القاهرة، د.ت، د.ط.
٦٤		مجموع دروس ورسائل في الدعوة إلى الله، عبدالعزيز بن باز، محمد العثيمين، صالح آل الشيخ، دار ابن الجوزي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ .
٦٥		المجموعة العلمية، بكر عبدالله أبو زيد، الرياض، دار العاصمة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
٦٦		مجموعة فتاوى ابن تيمية، دار الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
٦٧		مختار الصحاح، الرازي، محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق لجنة من العلماء، دار الفكر، بيروت، ١٩٨١م، د.ط.
٦٨		المدخل إلى علم الدعوة، محمد البيانوني، دار الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٢هـ.

٦٩		المستدرك على الصحيحين، للحاكم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
٧٠		المستطرف في كل فن مستظرف، شهاب الدين محمد أبو الفتح الإبشيهي، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.
٧١		مسند الإمام أحمد، ت: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
٧٢		معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ حكمي، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
٧٣		معالم التنزيل، البغوي، ت: محمد النمر، عثمان ضميرية، سليمان الحرش، دار طيبة، الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ.
٧٤		المعجم الكبير، للطبراني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، د.ط، د.ت.
٧٥		معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ح: أبي الأشبال، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
٧٦		مفتاح دار السعادة، ابن قيم الجوزية، دار الفكر، د.ط، د.ت.
٧٧		المفردات في غريب القرآن ، للراغب الأصفهاني، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، د.ت.
٧٨		مقومات الداعية الناجح، سعيد بن وهف القحطاني، فهرسة الملك فهد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ .
٧٩		المنتقى، سليمان الباجي، ح: محمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ. ١٩٩٩م.
٨٠		موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، إعداد مجموعة من المختصين، دار الوسيلة، جدة، الطبعة الرابعة، د.ت.
٨١	ن	النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
٨٢	–	خطبة الحاجة التي كان الرسول ﷺ يعلمها أصحابه، محمد ناصر الدين الألباني، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٠هـ.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة.	**١**
التمهيد.	**١٠**
أولاً: التعريف بمصطلح الرفق.	**١١**
ثانياً: التعريف بمصطلحات البحث ذات الصلة.	**١٦**
الفصل الأول: مشروعية الرفق في الدعوة وأهميته.	**٢٤**
المبحث الأول: مشروعية الرفق .	**٢٥**
الدلالة من القرآن الكريم على مشروعية الرفق.	**٢٦**
الدلالة من السنة النبوية على مشروعية الرفق.	**٣١**
المبحث الثاني: أهمية الرفق.	**٣٦**
الفصل الثاني: أنواع الرفق ومجالاته في الدعوة إلى الله.	**٤٣**
المبحث الأول: أنواع الرفق.	**٤٤**
القسم الأول: من حيث باعثه.	**٤٤**
النوع الأول :رفق فطري.	**٤٤**

النوع الثاني: رفق مكتسب.	**٤٥**
القسم الثاني: من حيث محلِّه.	**٤٧**
النوع الأول: رفق مع النفس.	**٤٧**
النوع الثاني: الرفق بالمسلمين.	**٥٧**
النوع الثالث: الرفق مع غير المسلمين.	**٦٥**
المبحث الثاني: مجالات الرفق.	**٧٨**
المجال الأول: الرفق في الدعوة إلى الله في المجال العقدي.	**٧٨**
المجال الثاني: الرفق في الدعوة إلى الله في المجال الشرعي.	**٨٢**
المجال الثالث: الرفق في الدعوة إلى الله في مجال الأخلاق والسلوك.	**٨٥**
الفصل الثالث: نتائج الرفق في مجال الدعوة إلى الله تعالى.	**٨٨**
المبحث الأول: نتائج التحلي بالرفق على الداعي.	**٨٩**
المبحث الثاني: نتائج التحلي بالرفق على المدعو.	**٩٨**
الخاتمة.	**١٠٦**
أهم النتائج.	**١٠٦**
الفهارس.	**١٠٩**
فهرس الآيات.	**١١٠**

فهرس الأحاديث.	**١١٥**
فهرس المراجع والمصادر.	**١١٩**
فهرس الموضوعات.	**١٢٤**